أبو الأعلى المودودي

تذكرة دعاة الإسلام

مؤسسة الرسالة

ابو الأعلى المودودي

تذكرة دعاة الإسلام

موسسة الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على صفوة عباده سيدنا محمد وآله وصحبه ، ومن دعا بدعوته وعمل بسنته . وبعد ،

فان هذه الرسالة ، التي بين يدي القارىء الكريم تشتمل على طائفة من الأحاديث والكلمات التي ألقاها الأستاذ أبو الأعلى المودودي أمير الجماعة الإسلامية في باكستان ، في اجتماعات عقدتها الجماعة الإسلامية في فترات عديدة وأماكن مختلفة وظروف متباينة . وبما أنها تدور حول موضوع بعينه ، وتتناول بالعرض فكرة بعينها هي : الغاية التي يجب أن يستهدف تحقيقها دعاة الإسلام ورجال الحركة الإسلامية ، والمنهاج الذي

يجب أن يتهجوه لبلوغ الغاية ، والأوصاف التي يجب أن يتحلوا بها خلال الطريق وأثناء المعركة ، جمعناها في رسالة مستقلة سميناها :

تذكرة دعاة الاسلام

وان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

ومن دأب الجماعة الإسلامية أنها تعقد كل عام – إذا سمحت لها الظروف – مؤتمراً عاماً يحضره أعضاء الجماعة وأنصارها ومؤيدوها ، لاستعراض نشاط الجماعة وتفقد أعمالها ودراسة منجزاتها . ولوضع المشاريع الجديدة لها ، في ضوء التقارير التي تقدمها شُعَب الجماعة المركزية وأمراء الفروع عن سير الأعمال التي قاموا بها .

ومن دأب أميرها الأستاذ المودودي أنه ، بعد أن يستمع إلى التقارير ويطلع على ما أنجزته الجماعة من المخططات . وما حققته من الخطوات ، وما قاساه رجالها في صدد المعركة من المصاعب والمحن . وما صدر منهم من الأخطاء والعثرات ، يجيء بملاحظاته على ما سلف ويقدم توصياته فيما يستقبل . وهذه الملاحظات والتوصيات جمعناها من تقارير الجماعة وأحببنا نقلها إلى اللغة العربية وتقديمها إلى رجال الدعوة والإصلاح في البلاد العربية عسى أن يجدوا فيها ما ينفعهم في مجابهة مشكلات

الدعوة ، ويشفي غليلهم الروحي ، ويزودهم بما يلزم من الزاد المعنوي . ويوثق صلتهم بربهم وصلة بعضهم مع بعض ويسمو بهم من أدنى المظاهر إلى أعلى المعاني ، وعسى أن يزيل ما ران على القلوب . ويصقل ما صدأ من السلاح ، ويقوي ما ضعف من النور الالهي في الأبصار ببريق المادية الخلاب ، ويسيل ما نضب من ينابيع الحب الرباني في الصدور بتدفق سيل جارف من الحضارة الإلحادية الدنيئة . الأمر الذي لا بدّ منه لكل من يتصدى لمهمة الدعوة والإرشاد ويتربع على منبر التوجيه ويمسك بعصا الراعي

ومن النتائج التي توصلت إليها الجماعة الإسلامية بعد مرورها بتجارب متنوعة واجتيازها مراحل عديدة ، أن الحركة الإسلامية ليست بغنى عن أمرين أساسيين بحال من الأحوال ، في صدد دعم قواعدها وتثبيت خطواتها وتحقيق غاياتها ، أحدهما : التخطيط والتنظيم . والآخر : التربية من ناحيتين : فكرية وروحية . فالأول بمثابة الجهاز الحديدي الذي من شأنه أن يصنع المركب . والثاني بمثابة التيار الكهربائي الذي يحرّكه وينفخ فيه الروح . كما يلزم للعاملين للإسلام أن يكونوا مضطلعين بالثقافة العصرية ويكونوا على علم بما في العلوم العصرية والأفكار السائدة والدعوات الحديثة من مواطن الضعف والفساد والدمار . إذ أن هذا يزيدهم إيماناً بنظرية الإسلام ودعوته ويؤهلهم لمحض الحجة بما هو أقوى منها وللاقناع

الأذهان بخطأ الخاطىء وصحة الصحيح بينما تحليهم بالتربية الروحية يجذب اليهم القلوب انجذاب الفراش إلى المصباح . وهذا أقوى سلاح وانجح وسيلة وأوفق منهاج وأضمن عمل لنجاح صاحبه في الدنيا والآخرة . وللآخرة خير له من الأولى .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

تحرير في ٢٤ شباط ١٩٦٦ م
الموافق ٣ ذي القعدة ١٣٨٥ هـ

كتبه العاجز
خليل أحمد الحامدي
معتمد دار العروبة للدعوة الاسلامية
لاهور ـ باكستان

الفصل الأول

هذه هي دعوتنا

إننا إذا أردنا عرض دعوتنا وإجمال غايتها وأهدافها في كلمات قليلة ، يمكننا أن نقسمها إلى ثلاثة مطالب مهمة أساسية. وهاك بيانها :

١ — دعوتنا للبشر كافة والمسلمين خاصة ، أن يعبدوا الله وحده ولا يشركوا به شيئاً ولا يتخذوا إلهاً ولا رباً غيره .

٢ — ودعوتنا لكل من أظهر الرضا بالإسلام ديناً أن يخلصوا دينهم لله ويزكّوا أنفسهم من شوائب النفاق وأعمالهم من التناقض .

٣ — ودعوتنا لجميع أهل الأرض أن يحدثوا انقلاباً عاماً في أصول الحكم الحاضر الذي استبد به الطواغيت والفجرة

الذين ملؤوا الأرض فساداً ، وأن ينتزعوا منه الإمامة الفكرية والعملية من أيديهم ، حتى يأخذها رجال يؤمنون بالله وباليوم الآخر ويدينون دين الحق ولا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً .

إن هذه المطالب الثلاثة واضحة في نفسها وضوح الشمس في رابعة النهار . ولكنه من دواعي الأسف أنها انكسفت شمس معرفتها ، وتوارت حقيقتها بأستار من الجهل والغفلة والجمود ؛ حتى أن المسلمين أنفسهم أصبحوا بحاجة إلى أن تُشْرَح لهم هذه المطالب ويبين لهم مرماها ومغزاها ، دع عنك ذكر غير المسلمين والذين لم يتسن لهم معرفة دعوته وتعاليمه .

هذا . وإن العبودية لله الواحد الأحد ، التي ندعو إليها . ليس المراد بها أن يقر العبد بعبوديته لله تعالى شأنه ثم يبقى في حياته العملية حراً طليقاً كما كان من قبل في حياته الجاهلية . وكذلك ليس المقصود من عبودية العبد لله أن يعتقد كونه تعالى خالقاً للكون ، رازقاً لمن في الأرض مستحقاً للعبادة من جميع خلقه ؛ من غير أن يكون له سلطان في هذه الحياة الدنيا ومسائلها وشؤونها المتعددة المتشعبة . وأيضاً ليس من معنى العبودية أن تُقسم الحياة قسمين : قسم يتعلق بالدين أو الأمور الدينية . وقسم يتصل بالدنيا وشؤونها العديدة المتنوعة ؛ وأن تنحصر العبودية لله في القسم الديني الذي لا يخرج ، — حسب المصطلح الشائع — عن دائرة العقائد والعبادات والمسائل التي لها علاقة

بالحياة الفردية والأحوال الشخصية . أما الحياة الدنيوية وشؤونها المتشعبة وفروعها المتنوعة من مسائل العمران والسياسة والاقتصاد والآداب والأخلاق ، فلا سلطان فيها لله الواحد الأحد ولا نفوذ لأحكامه في دائرتها . والعبد حر في بابها يفعل فيها ما يشاء ، ويضع لنفسه من نظم العمران والملك ما يريد ، أو يختار من النظم الوضعية ما يحبه ويرضاه . فالقائمون بدعوة الإسلام في هذه البلاد – وطبعاً في سائر أقطار العالم لأن الدين لم يتغير . والكتاب واحد لم يأته الباطل من بين يديه ولا من خلفه – يرون ويعتقدون أن معاني العبودية هذه كلها باطلة من أساسها ويرون القضاء عليها وقطع دابرها ، كما يريدون استئصال نظم الكفر والجاهلية واجتثاث شرورهما من جذورهما ، لأن هذه المعاني والتعابير هي التي شوّهت وجه الحقيقة ومسخت فكرة الدين مسخاً . والذي نراه ونجزم به ونعتقده وندعو الناس إليه أن العبودية التي دعت إليها رسل الله الكرام من لدن أبي البشر آدم عليه السلام إلى سيدنا وسيد المرسلين وخاتمهم محمد النبي الامي صلى الله عليه وسلّم ، المراد بها أن يقر العبد ويعتقد أنه ما من إله إلا الله الفرد الصمد الحاكم بين عباده . السيد المطاع في بريته ، المشرّع للدستور والقوانين والمالك لأمورهم ، المتصرف في شؤونهم ، المجازي على أعمالهم . وأن يسلم نفسه لذلك الله العزيز المقتدر ، ويخلص دينه له تعالى جده ويذعن لعبوديته في كل شأن من شؤون حياته الفردية منها والجماعية ، الخلقية منها والسياسية ،

الأقتصادية منها والاجتماعية . وبهذا المعنى ورد في التنزيل قوله عزّ من قائل : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً » (البقرة : ٢٠٨) الذي يأمر فيه عباده أن ادخلوا في دين الله كافة ، بمجموع حياتكم ، بحيث لا يشذ عن سلطانه شيء ولا يند عن دائرة نفوذه جزء من أجزائها . فلا يكن من شأنكم في ناحية من نواحي حياتكم أن تتجردوا من عبوديته الشاملة ، فتحسبوا أنفسكم أحراراً في شؤونكم تختارون من المناهج والأوضاع ما تريدون أو تتبعون من النظم والقوانين الوضعية المستحدثة ما تحبون . إن هذا هو معنى العبودية الذي نبثه ونعممه وندعو البشر كافة ، المسلمين وغير المسلمين ، إلى قبوله والإيمان به والإذعان له .

والمطلب الثاني من هذه المطالب الثلاثة : « اننا نطالب الذين يؤمنون بالإسلام أو يظهرون إيمانهم به أن يزكوا نفسهم من شوائب النفاق وأعمالهم من التناقض » .

فالمراد من النفاق ، في هذه الكلمة ان يدعي الرجل الإيمان بنظام خاص ويتظاهر بالانتساب إليه والتمسك بأذياله ثم يعيش راضياً مطمئناً في نظام للحياة مناقض للنظام الذي يؤمن به ولا يجدّ ويجتهد لقلب ذلك النظام المعارض لعقيدته التي يؤمن بها واستبدال النظام الصالح به ، بل ربما يبذل جهوده ويستنفد قواه ومساعيه في توطيد دعائم ذلك النظام الفاسد الجائر أو إقامة نظام باطل آخر يسد مسد ذلك النظام الجائر الذي يعيش

في كنفه هادئاً مغتبطاً . فمثل هذا الطراز مـن الناس كمثل المنافق ، فان الإيمان بنظام للحياة ثم الاطمئنان بنظام آخر مناقض له : شيء يمجه السمع ويأباه العقل ولا يرضاه الشرع .
فمن مقتضيات الإيمان الأولية أن يود المرء من صميم فؤاده أن تكون كلمة الله هي العليا وأن يكون الدين كله لله وأن لا يبقى في الأرض منازع ينازع حامل لواء الإسلام في دعوته وأداء مهمته للإنسانية ، وأن لا يهدأ له بال ولا يقر له قرار إذا رأى ما يصيب ذلك الدين في صميمه أو ينقص شيئاً من سلطانه أو دائرة نفوذه ، وكذلك من أمارات الإيمان أن يظل الرجـل قلقاً مضطرباً لا يهنأ له بال ولا يطيب لـه عيش حتى يرى ذلك النظام العادل قد استرد أبهته وسلطانه وعادت أعلامه خافقة وكلمته نافذة بين الناس . هذا من علامات الإيمان وأماراته التي لا يكابر فيها إلا متعنت أو جاحد . وأما أن يعيش المرء راضياً مقتنعاً في ظلال النظم العصرية الباطلة التي لا سلطان فيها للدين ، والتي جعلته منحصراً في دائرة ضيقة كمسائل الزواج والطلاق والارث ، التي لا تضر بتلك النظم السائدة الجائرة ولا تتدخل في حدود امرتها وسلطانها — أما أن يعيش المرء مطمئناً بمثل تلك النظم ، قانعاً مغتبطاً في كنفها ولا ينبض له عرق ولا يخفق له قلب ، فلعمر الحق إن مثل هذه الصنيعة من أمارات النفاق ومن صميمه من غير شك . وربما يجد مثل هذا الرجل عوناً ومساعدة من بعض الفقهاء والمشايخ ويبقى مسلماً في سجل الإحصاء ودواوين الإفتاء ، لكن روح

الشريعة تأبى إلا أن تحكم على مثل هذه الصنيعة بالنفاق ، ولو أفتى المفتون بخلاف ذلك ، حرصاً على المعاش الزهيد ومتاع الدنيا الزائل .

فالذي نريد من المسلمين ، والذين يتظاهرون بالإسلام وندعوهم اليه . أن يخلصوا دينهم لله ويزكوا أنفسهم من شوائب النفاق . ومن حق هذا الإيمان أن يتمنى المرء في سويداء قلبه أن تكون نظم الحياة والملك ومناهج الاقتصاد والاجتماع التي جاءت بها رسل الله ، مرفوعة الرأس ، عزيزة الجانب ، عالية الذرى ، نافذة الكلمة في الدنيا ، دون أن ينازعها أحد أو يعوق عنها عائق ، فكيف بمن رضي بها ويعيش في كنفها راضياً مغتبطاً ؟ أما من يتجرأ على السعي وراء توطيد دعائم النظم الباطلة والجد لإعلاء كلمتها ، فذلك أعرق في الضلال وأشد تمادياً في الغيّ . أعاذنا الله وإياكم من شرور أمثاله .

وأما « التناقض » الذي نطالب المسلمين جميعاً — من غير فرق بين من نشأ في بيت مسلم عريق ومن دخل في الإسلام بنفسه — بتزكية أعمالهم من مظاهره . فالمراد به أن يكون عمل الرجل مناقضاً لما يدعيه بلسانه ويظهره في أقواله . كما أنه من التناقض في صميمه أن تختلف أعمال المرء باختلاف شؤون الحياة ويناقض بعضها بعضاً . فليس من الإسلام في شيء أن يتبع الرجل أوامر الله ويتمسك بأهداب الشريعة في ناحية من نواحي حياته ويعصي أمر الله ويتعدى حدوده في شعبها

الأخرى ...

ومن مقتضيات الإيمان أن يسلم نفسه لله ويدخل بمجموع حياته في كنف الدين الحق : لا يعصي الله في شيء من أوامره ولا يصدر عنه شيء يناقض تلك العبودية الشاملة والاتباع الكامل لدينه وشريعته ، ومن أمارات المؤمن أن يكون مصطبغاً بصبغة الله ، لا يتأثر بشيء من مظاهر الدنيا الفاتنة ولا يتنكب الصراط السوي في شيء من حياته وأعماله . ومن علاماته أن يستغفر الله ويتوب إليه إذا بدرت منه بادرة تنم على الخطأ والعصيان أو حدثت منه فلتة قد تؤدي إلى الشر والطغيان . أما أن يدعي الرجل الإيمان بالله ويصلي ويصوم ويؤدي شعائر معينة محدودة ، ثم يحسب نفسه حراً طليقاً لا يتقيد بقيد ولا يذعن لأمر الله في دوائر الحياة العملية الأخرى ، فذلك هو التناقض الذي ينافي العبودية . وما رأيك في هذه الشعوذة التي يرتكبها المسلمون اليوم في جميع أنحاء العالم ؟ يتشدقون بالإيمان بالله واليوم الآخر ويتظاهرون بالإسلام ويتسمون بسمته . ولكنهم حينما يدخلون في معترك الحياة العملية ويخوضون غمار السياسة ويبحثون في مسائل الاقتصاد والاجتماع ، لا تجد عليهم مسحة من تعاليم الإسلام ولا أثراً من آثار اتباعهم للدين الحق والشريعة الكاملة . أي شعوذة أكبر من هذه وأشنع ؟ يقرون صباح مساء بأنهم : « لا يعبدون إلا الله ولا يستعينون إلا إياه » ، وبعد ذلك لا يتحرجون من أن يتبعوا كل ناعق وأن يدينوا بكل نظرية أو فكرة ، وأن يخضعوا لكل جبار متكبر في أرض الله ويستسلموا لأمره ويذعنوا لجبروته .

فذلك هو التناقض وهذه علاماته . وهذه أسس جميع أمراض المسلمين الخلقية والاجتماعية . وما دامت فيهم هذه الأمراض الخلقية المتفاكة لا يرجى إبلالهم من مرض الانحطاط والذل والتقهقر ، ولا أمل في انتشالهم من وهدتهم التي أودت بهم ولا تزال تهوي بهم إلى مهواة الشقاء والمهانة . ومما يذوب له القلب كمداً وحزناً أن علماء المسلمين ومشايخهم والمالكين لأزمة أمورهم جعلوهم يستيقنون منذ زمان أنهم يكفيهم من أمور دينهم أن يشهدوا شهادة الحق ويُصلّوا ويَصوموا ويؤدوا المناسك والشعائر المحدودة المعينة ، وأنه لا يضرهم شيء ولا يمنعهم من سبيل النجاة ولا يسد في وجوههم أبواب الجنة إذا اقترفوا بعد ذلك ما شاؤوا من المنكرات أو اتبعوا من أرادوا من أئمة الكفر والضلال ، أو اختاروا ما شاؤوا وشاءت أهواؤهم من الأفكار والنظريات الزائغة . وقد بلغت بهم الوقاحة والجرأة على الدين أن رأوا الاتسام بسمة الإسلام تكفيهم مؤونة القيام بواجبات الشريعة الملقاة على كواهلهم حتى إن أئمة الضلال منهم في هذا العصر قد تقدموا خطوة أخرى وزعموا أن التسمي بأسماء المسلمين كاف لتدوين أسمائهم في سجل الاحصاء الرسمي وتبوؤ مناصب الحكم والأمر في الحكومات المسلمة وغير المسلمة ، كأنهم هم الذين نقل القرآن عنهم : « وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً » (البقرة : ٨٠) .

ومن نتائج هذا الداء العضال المتمكن من أجساد المسلمين

وأرواحهم أن تراهم يدينون بالشيوعية والنازية والديموقراطية وأمثالها من النظريات المستحدثة المستوردة من الغرب ، ويتبعون معالم ظَلَمَةَ الفَجَرة الذين يتكبرون في أرض الله بغير الحق . سواء أكانوا من ملوك المسلمين أو غيرهم ، ولا يتحرجون من ذلك ، ولا قلامة ظفر ، ولا يشعرون بأن هذه النظريات وتلك الآراء وهؤلاء الطغاة المتكبرين يناقض طريقُها وطريقُهم طريقَ الإسلام ، وأن مسالكهم المعوجة والصراط المستقيم على طرفي نقيض .

فمن أهم مبادىء دعوتنا التي نطالب بها كل مسلم أن يكون حنيفاً مسلماً ، منقطعاً إلى الله ، متجرداً عن كل عصبية ، صارفاً بوجهه عن كل فكرة معارضة لفكرة الحق ، وأن يظل مثابراً على ذلك مواصلاً جهوده للانقطاع عن الطرق المعوجة والمناهج الزائغة التي ما نزل الله بها من سلطان .

إذا عرفتم هذا ، فلا يخفى عليكم ما نريد بالمطلب الثالث من مطالبنا الثلاثة الأساسية :

« ودعوتنا لجميع أهل الأرض أن يحدثوا انقلاباً عاماً في أصول الحكم الحاضر الذي استبد به الطواغيت والفجرة الذين ملؤوا الأرض فساداً ، وأن تنتزع هذه الإمامة الفكرية والعملية من أيديهم حتى يأخذها رجال يؤمنون بالله واليوم الآخر ويدينون دين الحق ولا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً » .

فتلك نتيجة طبيعية لما أسلفنا من معنى العبودية الكاملة

وإخلاص الدين لله وكون الأنفس طاهرة من شوائب النفاق والأعمال بريئة من مظاهر التناقض ، كما لا يخفى على اللبيب المتفطن أن ذلك لا يتأتى إلا بإحداث انقلاب عام في نظام الحياة الحاضر الذي يدور قطب حول رحى الكفر والإلحاد والفسوق والعصيان ، والذي يديره ويدبر أمره ويسيّر دفة شؤونه رجال انحرفوا عن الله ورسوله واستنكفوا عن عبادته واستكبروا في أرضه بغير الحق . فما دامت أزمة أمور العالم بأيدي هؤلاء ، وما دامت العلوم والآداب والمعارف والصحف والتشريع والتنفيذ والشؤون الدولية والمالية والمسائل التجارية والصناعية تتحرك دواليبها بحركاتهم وتتمشى عجلاتها حسب إرشادهم ورغباتهم لا يمكن للمسلم أن يعيش في الدنيا مسلماً ، متمسكاً بمبادئه ، متبعاً الشريعة الإلهية ، منفذاً لقوانينها في حياته العملية ، فإنه من المستحيل أن يتبع الرجل الدين الإلهي الكامل المحيط بجميع نواحي الحياة وشعبها ، وهو يعيش في بلاد تدين لقانون غير قانون الشريعة وتسير على منهج غير المنهاج المرضي عند الله ، بل يتعذر عليه أن يتعهد تربية أولاده وتلقينهم مبادئ الدين الإلهي وتعاليمه . وأن ينشئهم على الأخلاق المرضية والآداب الإسلامية الزكية . لأن نظام الكفر والإلحاد الذي يعيش في كنفه يسد في وجهه سبل التربية الإسلامية ، والبيئة الكافرة التي يتسم هواءها تأبى عليه إلا أن يحذو حذو القوم ، ويتخلق بأخلاقهم ويتخلى عن مقومات دينه وخلقه تدريجياً .

وزد على ذلك أنه من واجب العبد المسلم المخلص دينه لله

أن يطهر أرض الله من أدناس الفساد والطغيان ويقيم فيها نظاماً معتدلاً على دعائم الصلاح والرشاد .

ومن الظاهر البيّن أنه لا يتسنى الظفر بهذا المقصد ولا تُنال هذه البغية السامية ما دام زمام أمور العالم بيد الطغاة والمفسدين في الأرض ، يديرونه كيفما يشاؤون ويتصرفون في شؤونه حسب ما يريدون . وقد تحقق لنا بالتجربة في هذا الزمان أن المتكبرين في أرض الله بغير الحق الـذين في غلوائهم بغياً وعدواناً ، هم العقبة الكبرى في سبيل إقامة نظم الصلاح والنصفة ، وأنهم هم الذين يحولون دون توطيد دعائم السلام والعدل ، وكذلك ثبت لنا باليقين والبرهان والمشاهدة أنه لا أمل في صلاح العالم ولا رجاء في استقامة الأمور على موازين الرشاد والحق ، ما دام أولئك الطغاة المنحرفون عن الله ورسوله يتصرفون في شؤون الملك ويديرون أموره ويشرفون على جليلها وصغيرها . فمن مقتضيات اسلامنا وعبوديتنا الخالصة لله الواحد الأحد أن نجد ونجتهد ونبذل الجهود المتواصلة والمساعي المتابعة للقضاء على زعامة أئمة الكفر والضلال واجتثاث النظم الباطلة من جذورها واحلال الإمامة العادلة والنظام الحق محلها .

وربما يسائلني القارئ في هذا المقام : فكيف السبيل إلى الانقلاب في الزعامة والامامة ؟ فالظاهر أن هذا الانقلاب لا يحصل بمجرد الأماني والأحلام المعسولة . ومن سنن الله في أرضه أنها لا بد لها من رجال يسوسون أمرها ويديرون شؤونها .

وهذا التدبير وتلك السياسة بحاجة إلى صفات وخلق لا بد لكل من يريد إدارة شؤون العالم وتدبير أمرها من أن يتصف ويتحلى بها. وكذلك من سنة الله في خلقه أن يفوض تدبير أمور الأرض وتسيير دفة شؤونها إلى من شاء من غير الصالحين والمؤمنين، إن لم تكن في أرضه جماعة مؤمنة صالحة متصفة بتلك الصفات ومتخلقة بتلك السجايا اللازمة التي لا بد منها لكل من يتبوأ منصب الزعامة والإمارة. وأما إذا وجدت جماعة صالحة مؤمنة بالله ورسوله، متحلية بتلك الأوصاف والأخلاق اللازمة التي لا بد منها للقيام بالملك ولا مندوحة عنها في تسيير شؤون العالم إذا وجدت مثل هذه الجماعة التي لا تتحلى بتلك السجايا اللازمة فحسب، بل تفوق فيها الطغاة المستكبرين الذين استبدوا بمنصب الأمر والحكم فلا ترى أن قد عم الظلم والفساد، واستأثر المفسدون الجائرون في الأرض بالسلطان والنفوذ وتدع أزمة أمور العالم تبقى في أيديهم الآثمة الغاشمة، يعبثون بها كما يريدون وتريد أهواؤهم وشهواتهم. فلا تنحصر دعوتنا إذن في التمني والرجاء والابتهال إلى الله أن يقطع دابر الجور والفساد في الأرض ويفوض أمر دنياه إلى المؤمنين الصالحين من عباده، بل دعوتنا للعالم بأسره أن يعنى ويهتم بإعداد جماعة صالحة مؤمنة بالله ورسوله مستمسكة بالأخلاق الزكية الفاضلة في جانب، ومتصفة بالصفات والمزايا السامية، متحلية بالسجايا والطباع التي لا بدّ منها لتدبير شؤون الدنيا وتنظيم أمور العالم في جانب آخر. لا تتصف هذه الجماعة

الصالحة بتلك المزايا والطباع فحسب بل تعلو وتفوق آئمة الكفر والضلال وأعوانهم — الذين تراهم مستبدين بأزمة أمور الدنيا اليوم — في تلك المواهب والخلال و مؤهلات اللازمة للاضطلاع بأعباء الملك وتدبير شؤون العالم .

الفصل الثاني

منهاجنا للعمل

هذا ، ونريد الآن أن أفصل لكم القول – على وجه الاختصار – في ما قد سلكنا من المنهاج لنشر هذه الدعوة وتحقيق أهدافها .

الحقيقة أن منهاجنا هذا – كدعوتنا – إنما هو مأخوذ من من القرآن الكريم وسيرة الأنبياء عليهم السلام . فالذين يقبلون دعوتنا ويظهرون استعدادهم لحمل اعبائها وتبليغ رسالتها معنا ، فإن أول ما نطالبهم به أن يدخلوا في دين الله كافة ويصطبغوا بصبغته بجملة شؤون حياتهم من فكرية وعملية ، ويجعلوا سلوكهم العام في الحياة هو الدليل على اخلاصهم وتجردهم ؛ ويبذلوا سعيهم لتزكية حياتهم وتطهيرها من كل شيء يخالف إيمانهم . ومن هنا تأخذ أرواحهم تقوى ونفوسهم تصقل

وأخلاقهم تتهذب وسيرتهم تتزكى ويدخلون في مرحلة الابتلاء والامتحان. لقد كان كثير منهم نالوا أعلى ما يكون من الشهادات العلمية في الكليات والجامعات العصرية، فاضطروا إلى أن يهدموا بأيديهم قصور أحلامهم الشامخة ويقلعوا مستقبلهم الباسم في وجوههم ويدخلوا في حياة جديدة لا تلوح لهم فيها إمكانيات الجاه والمناصب والرغد والرفاهية في المعيشة، لا في حياتهم أنفسهم ولا في حياة أبنائهم وأحفادهم. وآخرون منهم كانت رفاهيتهم إنما تقوم على ضيعة مغصوبة أو على ارث هضمت فيه حقوق لاهلها، فرفعوا أيديهم عن مثل هذه هذه الرفاهية، وذلك أن الله الذي آمنوا به رباً لأنفسهم، تنهاهم شريعته أن يأكلوا أموال الناس بالباطل. وآخرون منهم كانت وسائلهم للحياة غير شرعية أو كان لها نوع من الاتصال بنظام الباطل، فأصبحوا يجدون أنفسهم لا يستسيغون لقمة من خبزهم الذي كسبوه بهذه الوسائل، فضلاً عن أن يظلوا يطمحون بأبصارهم إلى إحراز الترقيات والعلاوات والجزاءات فيها، وبدؤوا يبذلون ما يستطيعون من المحاولات لاستبدال الوسائل الظاهرة الشرعية، مهما كانت ضئيلة حقيرة، بهذه الوسائل المحرمة. وان من طبيعة هذا الطريق ان الإنسان ما أن يخطو عليه خطوة، حتى يجد بيته التي يعيش فيها تناصبه العداء وتضيق عليه الخناق: فأبواه واخوانه وأقرباؤه وأصدقاؤه وأولاده وأهل بيته كلهم يعملون وسعهم لابتلائه في إيمانه بكل ما يملكون من الوسائل، ولا يظهر في حياته أول أثر من آثار

سلوكه لهذا الطريق إلا وان مهده الذي نشأ فيه متدللاً يترفل في النعيم ، ينقلب عليه فراشاً من الأشواك .

هذه هي المرحلة الأولى قد هيأتها لنا المشيئة الالهية بنفسها لتربية الأفراد على ما يحتاج إليه سلوك هذا الطريق من الصلاح والتقوى والإخلاص والأخلاق القويمة الطاهرة ، فالذين يفشلون في محن هذه المرحلة الأولى يبتعدون عنا بأنفسهم دون أن نعمل شيئاً في فحصهم ونفكر في فصلهم ، وأما الذين يرافقهم التوفيق من الله ويخرجون من هذه المحن ناجحين . فانهم يثبتون ان فيهم – على الأقل – من الإخلاص والتجرد والصبر والعزيمة والسيرة القوية وإيثار الحق على الباطل ما لا يمكن بدونه سلوك سبيل الله واجتياز المرحلة الأولى من مراحل الامتحان والابتلاء بنجاح وتوفيق ، وان لنا ان نثق بهم ونعتمد على سيرتهم وإخلاصهم أكثر بالنسبة لغيرهم ، فنتقدم بهم إلى المرحلة الثانية المقبلة ، التي لا بدّ أن يواجهنا فيها من المحن والشدائد والعقبات المرهقة ما لم يواجهنا في المرحلة الأولى . ففي هذه المرحلة الثانية تعد لنا هذه المحن اتوناً آخر يميّز بين الخبيث والطيب كما قد ميّز بينهما اتون المرحلة الأولى ، ولا يحتضن في حضنه إلا الطيب الخالص . وإلى حد علمنا ان هذا هو الطريق الذي ما زال يختاره العاملون للإسلام لمعرفة العناصر الصالحة الجيدة وفرزها من المعادن الإنسانية المختلطة وزيادتها نفعاً ، فنقول بكل جزم ويقين ان التقوى التي تعد في اتون مثل هذه المحن ، مهما كانت غير كاملة في نظر أهل الفقه

والتصوف ، هي التي تقدر أن تتحمل عبء المسؤولية في تسيير نظام الدنيا ولا ينقصم ظهرها بوزر الأمانات المثقلة التي ليس في مقدور تقوى أهل الفقه والتصوف الصورية أن يحملوا جزءاً صغيراً منها .

والأمر المهم الثاني الذي نلزمه أعضاءنا بعد قبولهم هذه الدعوة ، هو أن يعرِّفوا بالحق الذي شرح الله له صدورهم وهداهم إلى نوره مَن حولهم مِنَ الناس ممن يرتبطون بهم بروابط القرابة أو الصداقة أو الجوار أو البيع والشراء ويدعوهم إلى الاستظلال بظله الوارف المريح . ومن هنا يدخلون في سلسلة أخرى من المحن . فالداعي هو الذي يصلح حياته لصالح هذه الدعوة قبل كل شيء ، فانه ما ان يشرع في دعوته إلا وترتفع إليه العيون النافذة والأنوار الكشافة من كل صوب ، فإذا كان في حياته أيسر شيء يتافى مع دعوته وعقيدته ، فان هؤلاء المحاسبين المتطوعين يثيرون عليه الضجة ويكبرونه في عينه ولا يزالون به حتى يجبروه على الإقلاع عنه . والداعي إذا كان قد آمن بدعوته صدقاً واخلاصاً ، فانه لن يضيق صدراً بما يريش إليه مختلف الناس من سهام نقدهم واعتراضاتهم ، ولن يحاول أن يستر عنهم خطأ إذا وجده في أعماله ، ولكنه سيستفيد من خدماتهم وجهودهم التي يبذلونها متضرعين لإصلاحه بدون ما أجر ولو بنية المعارضة والمعاداة . ولا يخفى عليكم أن كل إناء إذا اشتغلت عشرات الأيدي ، وما زالت ،

بازالة النجاسة عنه . فهو مهما كان بالغاً في نجاسته ، لا بدّ أن يتجلى ويتصفى آخر الأمر .

ثم ان القيام بأمر هذه الدعوة يربّي أعضاءنا على كثير من الخصال والأوصاف التي سنكون بحاجة إليها على غير وجه واحد في مختلف ميادين الجهاد أثناء مراحل الدعوة المقبلة . إن الداعي بطبيعة مهمته يمر عليه من الظروف القاسية ما يكاد يكسر قلبه ويقعد بهمته عن المضي في دعوته لولا تثبيت له من الله تعالى . فهنا ترى الناس يضحكون عليه ويستخفون بدعوته ، وهنا تراهم يطعنون فيه ويجعلونه سخرياً ، وهنا تراهم يتعرضون له بالشتم والسباب ، وهنا يتخذون منه هدفاً يريشون له سهامهم المسمومة عساهم ينالون من عرضه ويحطون من شأنه ، وهنا يثيرون عليه الغبار ويرمونه بأنواع من التهم ، وهنا يحيكون الحيل ويبيتون المكائد لينحرفوا به عن جادة الحق ويوقعوه في الفتن وهنا يخرجونه من بيته ، وهنا يحرمونه من حقه في ميراث أبيه وأمه ، وهنا يفارقه أقرباؤه وأهل مودته الادنون حتى تضيق عليه الأرض بما رحبت ويساوره الشك في صدق رسالته — فمثل هذه الظروف القاسية والمواقف الاليمة والكوارث المتوالية إذا لم تنل من عزيمة الداعي ولم توهن من قوة إرادته ولم تنحرف به عن طريق الحق ولم ترغمه على الاستسلام للباطل ولم تفسد عليه توازنه الفكري ، وظل على رغمها ثابتاً على منهاجه الذي اختاره على بصيرة منه بكل حكمة وتدبر وصدق وإخلاص وأمانة ، يعمل وسعه لإصلاح بيئته عملاً متواصلاً : فلا بدّ

أن ينشأ فيه ويزدهر من الأوصاف الجميلة والخصال الحميدة ما سنكون بحاجة إليه شديدة على نطاق موسع في مراحل الدعوة الآتية .

وبهذا الصدد قد بذلنا أقصى ما كنا نملك من الجهد والتفكير لأن نرشد أعضاءنا والعاملين معنا إلى الطريق الذي قد دعا إليه الله سبحانه وتعالى في كتابه المجيد حيث يقول : « ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ » أي أن يعرضوا الناس قبل كل شيء على مبدىء الدين الأساسية ، ثم يدعوهم إلى مطالبه ومقتضياته ولوازمه شيئاً فشيئاً وأن لا يجرّعوا أحداً منهم غذاء يستعصي على قوته هضمه ، وأن لا يقدموا الفروع على الأصول والأحكام الجزئية على الكليات والقواعد الشاملة ، وأن لا يضيعوا أوقاتهم في تهذيب المفاسد الظاهرة وقطع الفروع الخارجية وشذبها قبل أن يعالجوا المفاسد الأساسية الثابتة من الداخل ، وأن لا يقابلوا الواقعين في الغفلة والضلال الاعتقادي والعملي بالكراهة والاحتقار والازدراء ، بل عليهم أن يوجهوا فكرهم إلى علاجهم ومواساتهم وبذل النصيحة لهم بمثل ما يعامل به الطبيب مريضه ، وأن يروضوا أنفسهم على الدعاء والنصيحة لمن يتهكمون بهم ويذلون من كرامتهم ويستخفون بدعوتهم عن قلة فهمهم ، وأن يتدرعوا أنفسهم بالصبر على ما يصيبهم من إيذاء الناس واستهزائهم وظلمهم وأن يجنبوا أنفسهم التعرض للجهل والتداخل معهم في المجادلات والمناظرات النفسانية ، وأن يترفعوا عن سفاسف الأمور ما

استطاعوا ، وأن عليهم ، بدل أن يتعرضوا للمستغنين عن الحق ويضيعوا الأوقات في المحاولة لإصلاحهم ، أن يتوجهوا إلى الذين ينشدون الهداية ، ويجدون من نفوسهم ميلاً إلى قبول الحق واتباعه . ولو كانوا من الناحية المادية من أفقر الناس وضعفائهم . وأن لا يرجوا على أعمالهم محمدة من الناس ولا ثناء ولا يفكروا في ترديدها وإظهارها لهم مع الفخر والاعتزاز بنية استرعاء أنظارهم إلى أنفسهم ، بل عليهم أن يحتسبوا نياتهم لله وحده ولا يعملوا شيئاً إلا لوجهه الكريم مع اليقين بأنه تعالى عليم بما يفعلون وأنه لا بد أن ييسر لهم هذه الأعمال ويجزيهم عليها سواء أكان أهل الدنيا يعرفونها أو يجهلونها وسواء أينالون منهم عليها ثواباً أو عقاباً .

ومما لا مجال فيه للريب أن أكثر ما يحتاج إليه الإنسان لسلوك هذا المنهاج هو الجهد المستمر مع الصبر على الشدائد والثبات في المصاعب ؛ إذ هو لا يرى فيه إلى مدة طويلة زرعاً أخضر من النتائج المرضية الرائعة كما يراه متمثلاً بين يديه يعجب نظره ويثلج صدره في عشية أو ضحاها إذا ما قام بأعمال سطحية عاجلة . وبذلك ينشأ في الداعي – من جهة – من قوة الإيمان والبصيرة النافذة والجد والوقار والمروءة وسمو الأخلاق والترفع عن سفاسف الأمور ما سيكون في أشد حاجة إليه في مراحل الدعوة المقبلة التي لا يكون زاده فيها إلا الصبر والجد والحكمة والبصيرة ؛ ومن جهة أخرى فان الدعوة وإن كانت لا تتقدم بهذا الطريق بخطوات سريعة ، إلا أن كل

خطوة من خطواتها فيه تكون في غاية من الرسوخ والاستحكام .
وانه يمثل هذا المنهاج وحده يمكن أن تستخرج من البيئة الإنسانية زبدتها ويستفاد بها في صالح الدعوة وترقيتها . وبه وحده يمكن أن يجذب إلى الدعوة أصلح ما يكون في المجتمع من العناصر الطيبة دون أن يلتف حولها أوغال الناس وسفلتهم ممن لا نصيب لهم من الجد والوقار والبصيرة والحكمة . ولا ينفعون الدعوة في قليل ولا كثير بل قد يضرونها ويجلبون إليها المصائب ، ويمثل هذا المنهاج وحده يمكن أن يتهيأ للدعوة رجال عاملون مخلصون ممن أشربوا الدعوة في قلوبهم ويكون كل واحد منهم أرجح في كفة الميزان من آلاف مؤلفة من أخلاط الناس واراذلهم .

وجزء مهم آخر لمنهاج عملنا وهو أننا قد حرمنا أنفسنا بأنفسنا من حماية نظام الباطل وذمته القانونية والمحكمية [1] حيث قد أعلنا أننا لا نرضى الاستعانة بهذا النظام لحماية نفوسنا وحفظ أموالنا وأعراضنا . غير أننا ما الزمنا بذلك كل أعضاء جماعتنا ، وإنما قد وضعنا أمامهم معياراً للحق وجعلنا لهم الخيرة في أن يرتقوا إلى أعلى ما لهذا المعيار من الدرجات أو يترلوا إلى الأسفل معترفين بهزيمتهم أمام ما يلقون من لطمات هذا النظام . ومع هذا فقد وضعنا لهذا التردي إلى الأسفل حداً لا

---

(١) كان هذا موقف الجماعة الاسلامية عندما كان الاستعمار الانكليزي يحتل البلاد ويسيطر على نظامها القضائي والاداري .

تقبل لعضوية جماعتنا من يكون دونه ، أي أن شخصاً يقيم على غيره دعاوى مزورة أو يشهد في المحكمة شهادة الزور أو يرتبك في مخاصمات لا عذر له فيها وإنما ارتباكه فيها قائم على ابتغاء المتعة وتسكين النفسانية أو عصبية الصداقة والقرابة ، فليس لشخص مثل هذا أن يُقْبَل عضواً في جماعتنا .

والذين إنما ينظرون إلى ظواهر الأمور ، وتقف أنظارهم عند سطحها ، قلما يتفطنون للحكمة الكامنة في هذا المنهاج الذي رسمناه بشأن الاستعانة بقانون نظام الباطل ومحاكمه لحماية أنفسنا ، فهم لذلك يعدونه من أخطائنا ويوحيهون إلينا أنواعاً من الاعتراضات بصدده . إلا أن الحقيقة أن هذا المنهاج ما يجل عن الحصر والعد من الفوائد . فأولى فوائده أننا بتمسكنا به نبرهن عن أننا جماعة قائمة على المبدأ ولا نبتغي الحياة إلا به . انا عندما نقول انه لا يستحق التشريع للحياة الإنسانية إلا الله ، وإذ كان من دعوانا ان الحاكمية إنما هي حق لله وحده ولا يجوز لأحد سواه — كائناً من كان — أن ينفذ حكمه في أرض الله بدون طاعته له والتزامه بقانونه وقيامه عند حدوده . وإذا كان من عقيدتنا أن كل قانون يقضي بين الناس بدون استناده إلى ما أنزل الله ، هو قانون الكفر والفسق والظلم ، فانه مما يستلزمه كل ذلك أن لا نضع أساس حقوقنا على قانون غير القانون الشرعي وأن لا نترك قضية تقرير الحق وتمييزه من غير الحق إلى حكومة حاكم نعتقد بطلان أساسه للحكم . ونحن إذا ما حققنا هذا المقتضى لعقيدتنا في أقسى الظروف وبازاء

أقسح للأخطار والمغار ، فان في ذلك دليلاً قاطعاً على إخلاصنا وقوة سيرتنا ومتانة أخلاقنا وموافقة أعمالنا لعقيدتنا ، وأما إذا جرتنا الرجاء في منفعة عاجلة أو الخوف من مضرة متوقعة في المال أو النفس إلى أن نعمل بما يخالف عقيدتنا فسيكون في ذلك أبرز دليل وأبينه على وهن عزيمتنا وضعف سيرتنا .

وفائدته الثانية أنه سيكون لدينا لمعرفة رسوخ أعضائنا في العقيدة وكونهم جديرين أو غير جديرين بالثقة والاعتماد محك نعرف به بكل سهولة أياً منهم هو راسخ في إيمانه وعقيدته ، ومن أن نرجو منه الصبر والثبات في أي نوع من أنواع الشدائد والمحن والكوارث .

وفائدته الثالثة أن أعضاءنا عندما يلتزمون هذا المنهاج في حياتهم ، يضطرون بحكم واقعهم إلى أن لا يدعموا علاقاتهم بالمجتمع على أساس القانون ، بل على أساس حسن الأخلاق وطهارة السيرة مما سيرغمهم طبعاً على رفع مستواهم للأخلاق والتدليل لسلوكهم في الحياة على صدقهم وتدينهم وأمانتهم وصلاحهم وتقواهم ومروءتهم ونبلهم حتى لا يسع الناس إلا المحافظة على حقوقهم والاحترام لأموالهم ونفوسهم وأعراضهم . فانه لن تكون لهم حماية غير هذه الحماية المعنوية من المجتمع ، وهم إذ حرموا أنفسهم من حماية القانون والمحكمة ومع ذلك كانوا لا يتمتعون بحماية المجتمع المعنوية ، فانما يكون مثلهم كمثل شاة تعد على نفسها الأنفاس بين جماعة الذئاب في القرية .

وفائدته الرابعة – وهي لا تقل أهمية عن الفوائد السالفة الذكر – أننا بعرضنا نقوسنا وأموالنا ومصالحنا وجملة حقوقنا للخطر، سنكشف القناع ونميط اللثام عن حالة مجتمعنا الخلقية الحقيقية ومدى تمسكه بالأخلاق ؛ فان الناس إذا اعتدوا على حقوقنا لعلمهم أننا لن نستعين عليهم بشرطة النظام القائم ولا نحاكمهم إلى محاكمه ، فسيكون في ذلك أوضح دليل على ما قد تردى إليه مستوى مجتمعنا في الأخلاق ، كما أننا سنعرف بذلك مَنْ يلتزمون في مجتمعنا الشرف والمروءة والأمانة لأن القانون يجبرهم على التزامها ولا يبعد عنهم أن يرتكبوا كل نوع من الخيانة والغدر والخداع ونقض العهد لو أمنوا مؤاخذة القانون ؛ وهم إنما يرتدون كساء الدين ويتسترون بحلاوة المنطق ودماثة الأخلاق مع أنهم لو أتيحت لهم الفرصة وخلا لهم الجو ولم يجدوا على أنفسهم رقيباً من القانون ، لظهروا بأشنع أنواع الانحلال الخلقي واللادينية والهمجية . فهذا القرح الخلقي الذي هو مستتر في حياتنا الاجتماعية ويكاد يأتي على سلوكنا القومي من أساسه ، نريد أن نرفع القناع عن ملامح وجهه الحقيقية على رؤوس الأشهاد حتى يتنبه الضمير الاجتماعي لبلادنا ويعرف على وجه اليقين والاقتناع أن الداء العضال الذي لا يزال غافلاً عنه ويراه شيئاً هيناً قد تغلغل فيه تغلغلاً وتأصل فيه بكل قوة .

الفصل الثالث

الصفات اللازمة للعاملين للحركة الإسلامية

وأما أقل الصفات اللازمة التي يجب أن يكون العاملون لأمر هذه الدعوة متحلين بها ، فهي على ثلاثة أصناف .

صفات يجب أن توجد في كل فرد منهم بصفته الشخصية .

وصفات لا بد لهم منها لتأسيس حياتهم الجماعية والمحافظة عليهـــا .

وصفات يجب أن يكونوا عليها للمجاهدة في سبيل الله .

الصفات الفردية :

أما الصفة الأساسية من الصفات الفردية . فهي أن يقبل كل فرد منا على نفسه ويجاهدها حتى يجعلها مطيعة لله ورسوله خاضعة لكل ما تتلقى عنهما من الأوامر والنواهي ، وذلك ما قد بينه الرسول صلوات الله عليه وسلامه بقوله : « المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله » أي قبل أن تخرجوا لمقارعة أعداء الله ومقاتلتهم في العالم الخارجي ، عليكم أن تبذلوا ما تستطيعون من الجهد المستمر لمقارعة ذلك المارد الذي هو كامن في داخلكم ولا ينفك يطالبكم بمعصية الله ورسوله والخروج على أحكامهما. فما دام يتربى فيكم هذا المارد ويتزلكم على مطالبه المتنافية مع مرضاة الله ، فانه من العبث أن تشهروا الحرب على أعداء الله في الخارج ، فانما مثل ذلك إلا كمثل أن تكون في بيتكم زجاجة من الخمر وتحاربون الناس في الخارج لمنعهم من شرب الخمر . الحقيقة أن هذا التناقض لو وجد بين أقوالنا وأعمالنا ، فانه مدمر لكياننا مخنق لحركتنا ومهلك لحيتنا الاجتماعية ، فعليكم أولاً أن تستسلموا لله وتتجردوا عن كل حرية لنواتكم إزاء شريعته تعالى . ثم تخرجوا تطالبون الآخرين بطاعته .

وبعد درجة الجهاد تأتي درجة الهجرة . ليس المعنى الحقيقي للهجرة أن تهجروا ديازكم ، وإنما هو أن تهجروا معصية الله وتفروا منها إلى طاعة الله ومرضاته . والمهاجر الحقيقي إذا كان يخرج من بيته . فلأنه لا يجد في وضه مجالاً

لقضاء حياته وفق أحكام الله ورسوله . أما إذا خرج رجل من بيته ومع ذلك لم يدخل في طاعة الله ولم يقلع عن معصيته ، فإنما قد ارتكب حماقة وما استفاد شيئاً مما كابد في هجرته من محنة ومشقة . وهذا ما بينه الرسول عليه الصلاة والسلام في غير واحد من أحاديثه . قيل : « أي الهجرة أفضل يا رسول الله ؟ » قال : « أن تهجر ما كره ربك » . فواضح من هذا أن المرء ما دام مصاباً بمعصية الله ، فإن هجرته عن وطنه لا قيمة لها ولا وزن عند الله ، ولذا فإني أريد منكم أن تحاربوا القوى العاتية في داخلكم قبل أن تحاربوها في الخارج ، وأن تهتموا بذات أنفسكم وتسخيرها لطاعة الله في المكره والمنشط قبل أن تبذلوا جهودكم لإدخال الكفار الاصطلاحيين في الإسلام : أو عليكم – إذا قلنا بكلمات أوضح – أن تكونوا كالفرس المربوط بالحبل إلى وتد مغروز بالأرض ، فهو مهما جال ، يرجع أبداً إلى ذلك الوتد ، كما يقول عليه الصلاة والسلام : « مثل المؤمن ومثل الإيمان كمثل الفرس في آخيته . يجول ثم يرجع إلى آخيته » . فمثل هذا الفرس يكون في شأنه مختلفاً كل الاختلاف عن ذلك الفرس الطليق التي يجول في كل ميدان ويدخل في كل حقل وينقض بكل جشع على كل مكان يرى فيه كلأ أخضر . فعليكم أن تجردوا أنفسكم من صفات هذا الفرس الطليق وتروضوها على صفات الفرس المربوط بالحبل .

والخطوة الثانية التي عليكم أن تخطوها مع محاولتكم ضبط حياتكم وتقييد نفوسكم على هذا الوجه . هي أن تبدؤوا الحرب

فعلاً مع البيئة المحيطة بكم ، انني أستطيع أن أعبّر عنها بالجبهة البيتية . عليكم أن تدخلوا في حرب مع أهل بيوتكم وأقربائكم وأصدقائكم وبيئتكم التي ترتبطون بها ؛ لا بمعنى أن تصارعوهم أو تسابوهم وتناظروهم ، وإنما بمعنى أن تكونوا – على انفرادكم وفي حياتكم الجماعية – بالغين من ولوعكم بغايتكم والتزامكم بمبادئكم وضوابطكم حيث لا يصبر على حياتكم المتقيدة بالمبدأ الذين يقضون حياتهم في الدنيا بدون ما غاية ولا هم كالبهائم ، ويقوم أزواجكم وأولادكم وآباؤكم وأمهاتكم وأقرباؤكم وأصدقاؤكم احتجاجاً على سلوككم ، حتى تصبحوا كالأجانب بين ذويكم وفي دياركم وتكونوا كالقذى في عين الناس أو كالغصة في حلقهم حيث تعملون لكسب معاشكم ، ويعود كرسي المكتب ، الذي يحلم الناس بالتربع عليه بالترقيات والمناصب والجاه ، كالموقد المليء جمراً بالنسبة لكم . وعلى كل يجب أن تبادروا إلى الحرب مع كل واحد من الناس على قدر قربه منكم . وقولوا لي بالله ان من كانت الحرب قائمة في بيته ، ما له يخرج للحرب ولو إلى بضعة أميال ؟ واني في حد نفسي في غاية من السرور والطمأنينة بالنسبة للأماكن التي تصل إليّ منها أخبار الصراع والمشاكسة بين أعضاء الجماعة وأقربائهم وفي غاية من القلق والاضطراب بالنسبة للأماكن التي ما بدأت تصل إليّ منها مثل هذه الأخبار حتى الآن .

ولكن ينبغي أن لا يشرع في هذا الصراع والجهاد إلا

بالعقلية التي يعالج بها الطبيب مريضه ، فانه في حقيقة أمره لا يحارب المريض وإنما يحارب ما فيه من المرض ، ويكون كل سعيه مشوباً بروح النصح والمواساة ، فهو وان كان يجرع المريض أدوية مرة أو يجري الجراحة على عضو من أعضائه ، فعلى اخلاص منه ونصح للمريض لا على عداوة له ، وإنما يكون كل حنقه على المرض لا على المريض ، فهكذا يجب أن تدعوا اخوانكم الواقعين في الغفلة والضلالة إلى طريق الرشد والهدى . فلا يشعروا أبداً بأنكم تنظرون اليهم بنظر الازدراء والاستخفاف أو أنكم تضمرون العداوة لأشخاصهم وليجدوا المواساة والاخلاص والمحبة والأخوة الإنسانية تعمل فيكم عملها . انه لا يكون القيام بالدعوة الحقيقية — كما قلت لكم باختصار في مؤتمرنا السابق — بالمناظرات الخطابية والكتابية فان هذه المناظرات طرق سطحية للدعوة وضررها أكبر من نفعها ، وإنما الطريق الحقيقي المجدي للدعوة أن تكونوا مظاهر مجسدة ونماذج حية للدعوة ، فحيثما يقع عليكم نظر الناس فليعرفوكم من علو سيرتكم وطهارة أخلاقكم أن هؤلاء هم السالكون لسبيل الله ، وفي ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم بالنسبة للمؤمنين : « إذا رؤوا ذُكِر ».

وإني لا أدعوكم بكل هذا إلى أن تحدثوا فيكم هذه الكيفية بطريق صناعي دفعة واحدة ، فانها لا تنشأ فيكم ولا تبلغون مرحلتها إلا تدرجاً . إنكم عندما تحاربون بيئتكم المحيطة بكم ولا تزالون تقدمون التضحية تلو التضحية في سبيل غايتكم ،

فإن كيفية انتماء وانتقاء هذه ستنشأ فيكم بعد لأي من الزمان ، وحينئذ تصبحون مظاهر مجسدة ونماذج حية لدعوتكم . وعليكم أن تدرسوا القرآن والسنّة لهذا الغرض بكل إمعان وتفكّر حتى تعرفوا أي أسلوب للحياة يبغيه الإسلام وأي نوع من البشر يحبه الله وكان يعدّه النبي صلى الله عليه وسلم ؟ وما هي الصفات ومكارم الأخلاق التي أنشأها الإسلام في العاملين للحركة الإسلامية حتى رفعوا لواء الدعوة والجهاد بعدها ؟ وانه لما يعرفه كل واحد منكم أن الرهط الذين كانت أعدهم أكبر مزكٍّ في العالم — صلى الله عليه وسلم — ما أخرجوا إلى ميدان الحرب والقتال إلا بعد أن مكثوا ١٥ سنة متوالية تحت مرحلة التثقيف والتدريب. فعليكم أن تدرسوا تفاصيل هذا الإعداد وتبينوا مراحله التدريجية حتى تعرفوا أي صفات منها اهتم الرسول صلى الله عليه وسلم بانشائها في اتباعه قبل غيرها وأيها أخرها ؟ وأيها كانت مطلوبة في أي درجة ؟ وإلى أي حد عمل على ترقيتها ؟ ومتى قيل لمتحلين بها : « كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ » ؟ فهذه الأسوة هي التي يجب أن تكون نصب أعينكم بشأن اعدادكم أنفسكم وتزكيتكم نفوسكم . ولولا ضيق نطاق الوقت لسردت عليكم ما ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم من الأحاديث في هذا الشأن ، غير اني أريد أن أذكر لكم الآن حديثين من أحاديثه على كل حال . الأول منهما أنه قال عليه الصلاة والسلام : « من أحب لله وابغض لله واعطى لله

ومنع لله فقد استكمل الإيمان » . أي أن الإنسان لا يكون كاملاً في إيمانه إلا إذا أصبح كلٌ من حبه وبغضه وعطائه ومنعه لوجه الله وحده وانعدمت فيه الدوافع والبواعث النفسانية والدنيوية . وثانيهما أنه قال صلى الله عليه وسلم : « أمرني ربي بتسع : خشية الله في السر والعلانية ، وكلمة العدل في الغضب والرضا ، والقصد في الفقر والغنى ، وأن أصل من قطعني ، وأعطي من حرمني ، وأعفو عمن ظلمني ، وأن يكون صمتي فكراً ، ونطقي ذكراً ، ونظري عبرة » . يقول عليه السلام بعد ذكر هذه الأوصاف اللازمة : « وأن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر » فقد علمنا من هذا أن أمة وسطاً إذا أرادت أن تنصب نفسها لمهمة أمر الناس بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، يجب أن يكون كل فرد منهم متحلياً في حد ذاته بهذه الصفات ، فانه لا يمكن القيام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتحقيق مقتضيات هذا المنصب الخطير إلا بعد التحلي بهذه الصفات .

الصفات الجماعية :

وعلاوة على الصفات الفردية المذكورة آنفاً ، فاننا نحتاج إلى نوع آخر من الصفات والأخلاق لتأسيس حياتنا الجماعية والمحافظة عليها . إنه مما لا غنى لنا عنه لإحكام نظام جماعتنا والزيادة من تماسكه وتقعه ، أن يكون بين أعضائنا التحاب

والتواثق والتعاون وأن يكونوا معتادين للتناصح والتواصي بينهم بالحق والصبر ليتقدموا بأنفسهم ويقدموا معهم غيرهم في سبيل الدعوة . انه لا غنى عن هذه الصفات لنظام أي جماعة في الأرض ، وإلا فلو تخلق كل فرد في ذاته بأعلى ما يكون من الصفات الجميلة والأخلاق المحمودة ولكن بدون أن يكونوا مرتبطين بينهم متخلقين بالصفات الجماعية المذكورة ، فانهم لا يستطيعون أبداً أن يقوموا في وجه الباطل ويقارعوا أهله مقارعة الند للند . واني لن أتعدى الحق إذا قلت إن الأمة الإسلامية ما زال ولا يزال فيها أفراد متحلون بأعلى الصفات والأخلاق الحسنة بصفتهم الفردية حتى أننا إذا تحدينا أمم العالم أن تأتي إحداها بمثل هذا العدد الضخم من الصالحين ، فلعلها لا تستطيع الرد على هذا التحدي ، إلا أن هذه القضية إنما هي قاصرة على حد الصلاح الفردي . وأقول إن الذين قد ارتقوا إلى أعلى منازل الصلاح الفردي . فان غاية ما جاؤوا به أن أثروا بسيرتهم في بضعة مئات أو آلاف من الأفراد ثم مضوا لسبيلهم تاركين وراءهم آثاراً تدل على تقنسهم وعلو سيرتهم ، ولكن لا يكفي هذا الطريق لأن تتم به أعمال اجتماعية كبيرة . إن بهلواناً ، مهما كان شجاعاً قوياً في حد ذاته ، ويستطيع أن يحمل أكبر كمية من الوزن ويصرع عدة أفراد في المصارعة . فانه لا يستطيع على كل حال أن يقوم في وجه فرقة عسكرية منظمة . وهكذا فان كان فينا أفراد قد قطعوا كل ما للصلاح الفردي من المراحل ولكن بدون أن يكون لهم نصيب من

الارتباط والتعاون الاجتماعي ، فانما هم بمثابة البهلوان التي لا يعمل كعضو فعّال لفرقة منظمة ومع ذلك يدعو لمصارعة فرقة منظمة من أعدائه . وباعتبار الصلاح الفردي فان جماعتنا أيضاً لا تخلو من أفراد نغتبط على ما قد خصهم الله به من علو الأخلاق وطهارة السيرة ولكن ليست حالتنا الجماعية – مع ذلك – بحيث تدعونا إلى الطمأنينة والارتياح من ناحية لصلاح الاجتماعي .

وقد أوضح القرآن هذه القضية من حيث المبدأ في غير واحدة من آياته ، وأيضاً قد شرحها النبي صلى الله عليه وسلم شرحاً تاماً في غير واحد من أحاديثه . فنحن إذا درسنا القرآن ودرسنا كتب سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة الصحابة رضوان الله عليهم وجدنا في طياتها نماذج عملية لا تحصى لهذه الأخلاق الاجتماعية المنشودة ، فعليكم أن تدرسوا هذه لكتب بكل دقة نظر وتتبينوا ماذا ومن أي جهة ينقصكم في نظام جماعتكم ثم تتفكروا في تداركه .

انه من الظاهر ان كل فرد في هذه الدنيا إنما يعيش متعاملاً مع غيره من الأفراد فإذا لم يكن بين الأفراد حسن لتظان والمواساة والإخلاص والإيثار والتضحية من بعضهم لبعض ، فان الاختلاف في طبائعهم لا بدّ أن يقضي على ما ينبغي من التعاون بينهم ، إذ لا يسير نظام الجماعة إلا على مبدأ ان تترك شيئاً لخاطر غيرك ويترك هذا الغير شيئاً لخاطرك . وهذا الإيثار

والتضحية إذا كنتم لا تجدون أنفسكم مستعدين لهما فلا تتفكروا أبداً في إحداث انقلاب في الحياة الاجتماعية .

لوازم المجاهدة في سبيل الله :

وأما الصفات من النوع الثالث : فهي صفات تعد من لوازم المجاهدة في سبيل الله ، وما هي بمذكورة في القرآن والسنّة بكل تفصيل فحسب ، بل قد جاء فيهما القول مفصلاً في كل صفة منها : من أي نوع وعلى أي درجة ينبغي أن تكون هذه الصفة . فعليكم أن تدرسوا ما ورد في القرآن والسنة من الأحكام والتعاليم بهذا الصدد وتتبينوا أي الاستعدادات عليكم أن تتسلحوا بها للمجاهدة في سبيل الله . وفي ما يلي أريد أن أشير لكم إلى بعضها على وجه الاختصار :

فأولى هذه الصفات « الصبر » ، ولا يخفى عليكم كيف بدأ فيه القول وأعيد في كل من القرآن وأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما هو من لوازم المجاهدة في سبيل الله فحسب ، بل هو من لوازم المجاهدة في أي سبيل من السبل ، وغاية ما هناك من الفرق هو أن الجهاد في سبيل الله يحتاج إلى نوع من الصبر ، بينما الجهاد في سبيل الدنيا يحتاج إلى نوع منه آخر .

والصبر للجهاد في سبيل الله له عدة وجوه : منها الاحتراز التام عن أن تستعجلوا في شأن من شؤونكم وتخطوا

خطوة قبل أن يحين وقتها ، ومنها الظهور بالاستقامة والتجلد وعدم التقهقر عند مواجهة الشدائد والمحن والعقبات ، ومنها ان لا يساور قلوبكم اليأس والوهن فيما إذا تأخر ظهور النتائج المرجوة لما قد بذلتم من الجهود وأن تظلوا تواصلون جهودكم على رغم كل هذا ، ومنها ان لا تزل أقدامكم إذا ما عرضت لكم مواقع الخطر والمضرة والطمع أثناء سيركم في سبيل غايتكم ومنها ان لا تفقدوا توازنكم الفكري حتى في أحرج وأقسى موقع العواطف الثائرة ولا تخطوا خطوة منفعلين بعواطفكم قبل أن تقلبوا فيه وجوه التفكر والتأمل ولا تعملوا عملاً إلا مع الهدوء وصحة العقل وركود القلب وسكون القوة الإرادية .
ومن المعلوم انكم ما أمرتم بالصبر وحسب ، بل قد أمرتم معه بالمصابرة أيضاً ، وهي أن الصبر التي تسعى القوى المعادية في سبيل غاياتها الباطلة متسلحة به ، عليكم أن تتسلحوا به أيضاً وتتفوقوها فيه حتى تكسروا شوكتها وتخضعوها لأمر الحق ، ولذلك قال سبحانه وتعالى « وَصَابِرُوا » بعد أن قال : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا » .

إن الذين تدعون القيام في وجوههم ومقارعتهم لرفع لواء الحق ، عليكم أن توازنوا بين صبركم وصبرهم ، فلعلكم لا تجدون أنفسكم جديرين بدعوى تسلحكم بعشر صبرهم . اقرؤوا حوادث الحرب العالمية الثانية وأهوالها لتعرفوا مدى الصبر الذي كان يتظاهر به الألمانيون واليابانيون والأميركيون و ... لإعلاء كلمة الباطل ، كيف كانوا يحرقون بأيديهم

معاملهم ومصانعهم وبيوتهم ومحطاتهم التي بذلوا الأموال الطائلة والجهود المتابعة إلى غير واحد من السنين لبنائها . إذ اقتضت ذلك ضرورات الحرب ، وكيف يقومون باسلين مستميتين أمام الدبابات التي تدوس الجيوش القوية تحت عجلاتها الحديدية ، وكيف يقومون بكل جرأة واستقامة في ظلال طيارات العدو التي تطير بأجنحة الموت . فما دام صبركم لا يرتفع إلى ١٠٥ بالمئة بالنسبة لصبر هؤلاء لا يمكن أن تتجرؤوا على مقارعتهم ومصاولتهم . وما دمتم لستم شيئاً مذكوراً بحذائهم من حيث العدة والعتاد ، فإنه لا يمكن أن تتلافوا قلة العدة والعتاد هذه إلا بسلاح الصبر والثبات والاستقامة .

والثانية من لوازم المجاهدة في سبيل الله هي صفة الإيثار والتضحية ، التضحية بالوقت ، والتضحية بالجهود ، والتضحية بالكفاءات الفكرية ، والتضحية بالمستقبل اللامع الرائع والتضحية بالأماني والآمال . وبهذا الاعتبار أيضاً نحن متخلفون عن القوى الحاملة للواء الباطل . إننا إن كنا نريد أن نتلافى قلتنا في العدة والعتاد للتغلب على هذه القوى ، فلا بدّ ان تفوقها تضحية وايثاراً ، ولكن مما يبكي العين ويفجع القلب أن واحداً منا لا يتحرج في بيع كل ما آتاه الله من القوى الجسدية والكفاءات الذهنية لأعداء الله لقاء مبلغ من المال . وهكذا يضيع جوهر الأمة الإسلامية بدون أن تستفيد منه في شيء . ويكاد يعجز أكثر أفرادها أن يضحوا بمورد للدخل الكبير ويقدموا كفاءاتهم لخدمة دين الله بمشاهرة أقل على قدر كفايتها ، فهم إنما كانوا

لا يستطيعون بذل مثل هذه التضحية ولا أن يكرسوا جهودهم للجهاد في سبيل الله ، فأنّى للحركة الإسلامية في هذا الزمان أن تتقدم صُعُداً وتحرز النمو والرقي في العالم . ومن المعلوم أن أي حركة في الدنيا لا تستطيع التقدم في سبيلها معتمدة على عامة المجندين وحدهم ، لأن المجندين في نظام أي جماعة إنما يكونون بمثابة اليدين والرجلين في جسد الإنسان . فانى لهذه الأيدي والأرجل أن تفيدنا في شيء إذا لم تكن هناك قلوب عاقلة وعقول متفكرة لاستخدامها ، أو بكلمات أخرى اننا بحاجة إلى قوّاد وضبّاط من الدرجة الأولى لاستخدام هؤلاء ... ولكن من دواعي الأسف ان الذين عندهم نصيب من القوى الفكرية والقلبية من النوع الأعلى من أفراد أمتنا ، هم مولعون باحراز الترقيات الدنيوية جاهدون في سبيلها ليل نهار ولا يقبلون في السوق إلا على من يساومهم فيها بأثمان مرتفعة ، وما بلغوا من تعلقهم بالدعوة حيث يستعدون للتضحية في سبيلها بمنافعهم بل ولا بمجرد إمكانيات منافعهم . فإذا كنتم تودون معتمدين على هذه العاطفة الباردة للتضحية ان تتغلبوا في الحرب على اولئك المفسدين في الأرض ، الذين يضحون بالملايين من الجنيهات كل يوم في سبيل غاياتهم الباطلة ، فما ذلك إلا حماقة منكم .

والثالثة من لوازم المجاهدة في سبيل الله حماسة القلب وتعلقه بالغاية . أما مجرد فهم الإنسان لأهداف هذه الحركة واطمئنانه بصحتها عقلاً ، فانما هو خطوة بداية لسلوك هذا الطريق ، ولا

يكاد مثل هذا التأثر يسمن ولا يغني من جوع .

إنه من الواجب أن تكون في قلوبكم نار متقدة تكون في ضرامها على الأقل مثل النار التي تتقد في قلب أحدكم عندما يجد ابناً له مريضاً ولا تدعه حتى تجره إلى الطبيب ، أو عندما لا يجد في بيته شيئاً يسد به رمق حياة أولاده ولا تزال تقلقه وتضطره إلى بذل الجهد والسعي .

انه من الواجب ان تكون في صدوركم عاطفة صادقة تشغلكم في كل حين من أحيانكم بالسعي في سبيل غايتكم وتعمر قلوبكم بالطمأنينة وتكسب لعقولكم الإخلاص والتجرد والحنيفية وتركز عليها جهودكم وأفكاركم بحيث ان شؤونكم الشخصية وقضاياكم العائلية إذا استرعت اهتمامكم : فلا تلتفتون إليها إلا مكرهين . وعليكم بالسعي ان لا تنفقوا لمصالحكم وشؤونكم الشخصية إلا أقل ما يمكن من أوقاتكم وجهودكم فتكون معظمها منصرفة لما اتخذتم لأنفسكم من الغاية في الحيــاة . وهذه العاطفة ما لم تكــن راسخة في أذهانكم ملتحمة مع أرواحكم ودمائكم آخذة عليكم ألبابكم وأفكاركم ، فانكم لا تقدرون أن تحركوا ساكناً بمجرد أقوالكم . أفلا ترون ان كثيراً من الناس طالما يستعدون لمسايرتنا وتأييدنا على مقتضى من أفكارهم ولكن قليلاً منهم يشاركوننا في هذا العمل بمهجهم وأموالهم ونفوسهم . وقد اعترف لديّ أحد رفاقنا القدماء قبل أيام بأنه إنما كان مع الجماعة على أساس مجرد

طمأنينته الفكرية . وما التحمت دعوة الجماعة بروحه ورسخت في ذهنه إلا حديثاً . فحبذا لو أن كل واحد منا فكر في أمره هكذا وحاسب نفسه ليرى هل إنما هو عضو فكري محض للجماعة أم قد اشتعلت فيه نار العاطفة والولوع بالغاية ، وليبذل جهده لإنشاء هذه العاطفة في نفسه إذا لم تكن العلاقة قوية بين قلبه ودعوة الجماعة . الحقيقة ان الإنسان إذا كان قلبه معلقاً بغايته وفكره متطلعاً إليها ، فانه لا يحتاج إلى تحريض أو دفع ، ومن المحال مع وجود هذه القوة في رجال الجماعة ان يتعطل كل ما تفرع من فروعها من النشاط في نشر الدعوة ويصيبه شيء كالعجز والشلل إذا ما انتقل أحد أفراده من مكان إلى آخر أو أو تنكب عن الدعوة أصلاً .

إنه إذا مرض لأحدكم ولد ، لا يترك مسألة حياته وموته إلى غيره أبداً . ومن المحال أن يتركه وشأنه معتذراً بأنه لا يجد من يقوم بتمريضه ويأتي له بالدواء أو يذهب به إلى الطبيب ، فانه إذا لم يجد غيره للقيام بهذه الأعمال يقوم بها بنفسه ، إذ الولد ولده وهو أحق به من غيره . انه من الممكن أن لا يبالي الرجل بولد غيره ولا يجشم نفسه بالتفكير في أمره ، ولكن من المحال عليه أن يغمض عينيه عن ولده من صلبه ويأبى أن يبذل وسعه لعلاجه . فهكذا ان كانت علاقتكم بأمر هذه الدعوة من أعمق قلوبكم ، فانى لكم أن تتركوه وشأنه ولا تبالوا به ، متكلين على غيركم ، كما انه من المحال آنئذ أن تدعوه يلفظ أنفاسه وتقبعوا في بيوتكم مشتغلين بمشاغلكم الأخرى معتذرين

بأنكم لا تجلدون من يعضون معكم على ترقيته أو تجلدونه يسلك فيه طريقاً خاطئاً ، فان هذا إن كان يدل على شيء فانما يدل على وهن علاقتكم بنبيّ الله وعجزكم عن بذل الجهد لإعلاء كلمته في الأرض ، مثل علاقة الإنسان بولد غيره . انه لو كانت علاقتكم بغايتكم التي قمتم لأجلها قوية في حقيقة الأمر ، لنسي كل واحد منكم نفسه في سبيلها ولم يبال بالموت أو الحياة في سبيل تحقيقها . واسمحوا لي أن أقول لكم إنكم إذا خطوتم على طريق هذه الدعوة بعاطفة ابرد من تلك العاطفة القلبية التي تجدونها في قلوبكم نحو أزواجكم وأبنائكم وآبائكم وأمهاتكم ، فانكم لا بد أن تبوؤو بالفشل الذريع ، بفشل لا تتجرأ بعده أجيالنا القادمة على أن تفكر في القيام بحركة مثل هذه إلى مدة غير وجيزة من الزمان . عليكم أن تستعرضوا قوتكم القلبية والأخلاقية قبل أن تهموا بالخطوات الكبيرة ، وعليكم أن تنشئوا في أنفسكم من الجرأة وقوة الإقدام والتعرض للأخطار ما تحتاج إليه طبعاً المجاهدة في سبيل الله .

والرابعة من لوازم المجاهدة في سبيل الله ، أن تعوّدوا أنفسكم على العمل بسعي متصل وطريق منظم . فقد تعودت أمتنا منذ مدة من الزمن أن تقوم بأعمال لا تحتاج إلاّ إلى يسير من الوقت ، ولا تخطو إلاّ خطوات تظهر نتائجها في عشية أو ضحاها ولو جعلت كل ما أتت به من الأعمال قبلها هباء منثوراً . عليكم أن تغيروا فيكم هذه العادة وتروضوا أنفسكم على الأعمال الثابتة البعيدة الأثر والنتائج بطريق منظم تدريجي .

فكل عمل مهما كان حقيراً في نظركم إذا كان مهماً في حد ذاته ووكل اليكم أمره ، فعليكم أن تنفقوا فيه جهدكم كلها بدون أن تنتظروا له نتيجة عاجلة مرئية، وبدون أن ترجوا من الناس ، التحبيذ به والثناء على جهودكم فيه . إن ميدان في الجهاد في سبيل الله لا يكون حامياً في كل آن ولا أن كل شخص من المقاتلين إنما يقاتل في الصفوف الأمامية ، بل ان لقتال مرة واحدة في ميدان الجهاد قد يحتاج إلى الاستعـداد الصامت سنوات طوال ، وانه إذا كان هناك آلاف من المقاتلين يقاتلون العدو في الصفوف الأمامية ، فان هناك عشرات الآلاف ومئاتها يستقلون بأمور متعلقة بالحاجات الحربية ، لا تكون في ظاهر الأمر ، إلا حقيرة تافهة .

الاتصال بالله :

إن أول شيء ما زال الأنبياء والخلفاء الراشدون وصلحاء الأمة يوصون به أتباعهم وأصحابهم عند كل مناسبة ، هو أن يتقوا الله ويعمروا قلوبهم بحبه ويتقربوا إليه بطاعته وعبادته . وهذا ما أوصيت به رفاقي دائماً ولا أزال أوصيهم به إذا ما سنحت لي الفرصة لذلك في المستقبل ، تباعاً لسنة الأنبياء وأسوة بالخلفاء والصلحاء ، فإن هذا ما يجب أن يكون مقدماً على غيره ، ما في ذلك شك . فالإيمان بالله مقدم على غيره في العقيدة ، والاتصال بالله والتقرب إليه مقدم على سواه في

العبادة ، وخشية الله في السر والعلانية مقدم على سواه في الأخلاق والعادات ، وطلب مرضاة الله مقدم على سواه في المعاملات والأعمال . وبالجملة فإن صلاح حياتنا إنما هو منحصر في أن لا يكون مقصودنا وراء كل ما نبذل من الجهود والمساعي إلا ابتغاء مرضاة الله ؛ ولا سيما هذا الأمر الذي قد قمنا لتحقيقه بصورة جماعية ، فانه لا يمكنه أن يتقدم ويؤتي ثمراته إلا باعتمادنا على اتصالنا بالله سبحانه وتعالى ، فسيكون قوياً على قدر ما يكون اتصالنا بالله قوياً محكماً ، وضعيفاً على قدر ما يكون اتصالنا بالله ضعيفاً .

من الظاهر الذي لا خفاء فيه أن كل عمل يقوم به الإنسان في هذه الدنيا . دينياً كان أو دنيوياً . لا يحفزه عليه ولا يقدمه في سبيله إلا الغرض الذي لأجله يقوم بذلك العمل ، ولا ينشأ فيه الجد والكدّ والجهد إلا إذا كان ذلك العمل آخذاً على لبه ملتحماً مع روحه وقلبه وكان متحمساً لتحقيقه في واقع الأمر . فالذي يعمل — مثلاً — لنفسه ، لا يمكنه أن يعبد نفسه بدون أن يكون فيه الأثرة وحب الذات ؛ وهو على قدر ما يكون شديداً في حب النفس ، يخدمها بكل إخلاص وحماسة وجد واجتهاد ، والذي يعمل لذريته ، يكون مأخوذاً بحبها ، ولأجل هذا الحب يضحي براحته وماله ونفسه في صلاح ذريته ولا يخاطر بدنياه فقط ، بل يخاطر بآخرته أيضاً في سبيل أن يترك ذريته بعده مترفة في النعيم والترفاه ورغد العيش ، والذي يعمل لأمته أو وطنه ؛ يكون مشبعاً بحبهما ، لذا يحتمل الخسائر

والأضرار الفادحة ويعاني مشقات الحبس والاعتقال وشنهما ويصل ليله بنهاره وقد يضحي بنفسه وتفائسه في سبيلهما : فأنتم إن لم تكونوا قد قمتم بأمر هذه الدعوة ، نفوسكم وأهوائكم ، ولا يحملكم عليه غرض من أغراضكم العاطية ولا تطمحون فيه بابصاركم إلى مصلحة من مصالحكم القومية أو الوطنية ، وإنما الذي تقصدونه وتطمعون فيه بقيامكم بأمر هذه الدعوة هو أن تظفروا بمرضاة الله في الدنيا والآخرة ، فلا يصعبن عليكم إدراك انه ما دامت علاقتكم بالله غير قوية لا يمكن أن يكتب لهذا الأمر شيء من التقدم والرقي ، وأنه لا يمكن أن يرزق شيئاً من الجد والإخلاص والتجرد والحماسة إلا إذا أصبحت كل رغائبكم مركزة في السعي لإعلاء كلمة الله .. انه لا يكفي أن تكون للمشتركين في هذا الأمر علاقة بالله ، بل يجب أن لا تكون لهم علاقة إلا بالله وحده . لا تكون علاقتهم به سبحانه وتعالى علاقة من علاقاتهم ، بل يجب أن تكون هي وحدها علاقتهم الحقيقية الوحيدة ، فيكون كل تفكيرهم متجهاً إلى أن لا تنقص علاقتهم بالله ولا يعتريها شيء من الوهن بل تتقوى وتتحكم مع مرور الأيام .

لا خلاف بيننا أن علاقتنا بالله هي روح هذا الأمر وعماده . أحمد الله سبحانه وتعالى وأشكره على أن ليس في جماعتنا أحد يغفل عن هذه الحقيقة . ولكن هناك طائفة من الأسئلة قد تعتري أعضاء الجماعة ، هي : ما هو المراد الحقيقي بعلاقة الإنسان بالله ؟ وكيف له أن يعمل على تقوية هذه العلاقة

وتنميتها ؟ وكيف له أن يتبين هل هو حقاً متمتع بالعلاقة بالله ؟
وان كان فإلى أي مدى ؟ وقد شعرت مراراً بأن أعضاء الجماعة
ربما لا يعرفون لهذه الأسئلة جواباً واضحاً . يجدون أنفسهم في
صحراء لا معالم فيها ولا إشارات تبين لهم الطريق و ضحاً إلى
غايتهم المقصودة ، فلا يعرفون كم قطعوا من الطريق وكم من
مراحل لا تزال أمامهم لقطعها ، ولأجل هذا فان كثيراً منهم
يضلون في طيات تصورات مبهمة ، وبعضهم يميلون إلى طرق
غير موصلة إلى غايتهم المقصودة وبعضهم يتعذر عليهم التمييز
بين الأمور المتعلقة بغايتهم من قريب أو بعيد ، وبعضهم
تعتريهم الحيرة والوجوم . ولذا فاني لا أريد اليوم الاكتفاء
بنصيحتكم بأن تتصلوا بالله وتتقربوا اليه ، بل سأحاول – على
قدر جهدي وعلمي – أن أرد لكم على هذه الأسئلة :

معنى العلاقة بالله :

المراد بعلاقة الإنسان بالله ، على حسب بيان القرآن لكريم ،
أن تكون حياته ومماته وصلاته ونُسُكُهُ لله تعالى وحده « قُلْ
إنْ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَاي وَمَمَاتِي لِلهِ رَبِّ الْعَالمِينَ »
وأن يعبده مخلصاً له الدين حنيفاً .

وقد شرح النبي صلى الله عليه وسلم في عدة من أقواله هذه
العلاقة بين العبد وربه بحيث لم يترك غباراً على مفهومها . فاذا

تتبعنا أقواله ، عليه الصلاة والسلام ، علمنا أن معنى العلاقة بالله : «خشية الله في السر والعلانية» و « أن تكون بما في يدي الله اوثق منك بما في يديك » ، و « ان تلتمس رضا الله بسخط الناس » خلافاً لأن تلتمس رضا الناس بسخط الله. ثم ان هذه العلاقة إذا توثقت حتى يكون حب الإنسان وعداوته ومنعه وعطاؤه كله لله وحده دون أن تشوبه شائبة من رغبته أو نعرته النفسانية ، فمعنى ذلك انه قد استكمل علاقته بالله « من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان » .

ثم عليكم أن تستحضروا في كل وقت من أوقاتكم دعاءكم الذي تدعون به كل ليلة في آخر ركعة من صلاتكم الوتر . أفلا تقولون : « اللهم إنا نستعينك ونستهديك ونستغفرك ونؤمن بك ونتوكل عليك ونثني عليك الخير كله ، نشكرك ولا نكفرك ، ونخلع ونترك من يفجرك . اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد ، وإليك نسعى ونحفد ، نرجو رحمتك ونخشى عذابك ، ان عذابك الجد بالكفار ملحق » عليكم أن تتدبروا كلمات هذا الدعاء وتروا أي علاقة تقرون بابرامها بينكم وبين الله في كل ليلة من لياليكم .

وقد انعكست صورة هذه العلاقة أيضاً في ذلك الدعاء الذي كان يدعو به النبي الكريم صلى الله عليه وسلم إذا قام يصلي بالليل . فكان عليه الصلاة والسلام يقول في هذا الدعاء

مخاطباً ربه جل وعلا : « اللهم لك اسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت » .

طريقة تقوية العلاقة بالله :

أما نشأة هذه العلاقة بالله . فليس لها إلا طريق واحد هو أن يؤمن الإنسان بالله وحده رباً وإلهاً لنفسه ولسائر المخلوقات في السماوات والأرض ، ولا يعتقد صفات الألوهية وحقوقها وصلاحياتها إلا مختصة به سبحانه وتعالى . وأن يطهر قلبه من كل شائبة من شوائب الشرك . فإذا ما أتم الإنسان كل هذا على هذا الوجه انعقدت العلاقة بينه وبين الله تبارك وتعالى .

وأما تقوية هذه العلاقة وتنميتها فانما تنحصر في طريقين :

طريق الفهم والتفكر .

وطريق العمل .

وتقويتها بطريق الفهم والتفكر هي أن تدرسوا القرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة بكل فهم وتدبر مرة بعد مرة، لتستبينوا بهما في معرفة ما يوجد بينكم وبين الله تعالى من وجوه النسبة من حيث الفطرة ومن حيث الواقع ، حتى إذا عرفتم هذه الوجوه واستعرضتم حالكم . فعليكم أن تنظروا أي وجه من هذه الوجوه قد حافظتم عليه وإلى أي حدّ تحققون

مقتضياته ، وأي نقص تشعرون به في أنفسكم في شأنه ، فعلى قدر ما يقوى هذا الشعور فيكم ، تتوثق علاقتكم بالله تعالى .

فمن وجوه النسبة بينكم وبين الله — على سبيل المثال — أنكم عباده وهو معبودكم . ومنها أنكم خلقوه في الأرض ، قد خول إليكم ما لا يعد ولا يحصى من نعمه وآلائه . ومنها أنكم لما آمنتم به فقد اشترى منكم أنفسكم وأموالكم بأن لكم الجنة . ومنها أنكم مسؤولون أمامه وهو لا يحاسبكم حسب ظاهركم بل قد سجل عنده جملة حركاتكم وسكناتكم ونياتكم وإراداتكم . فهذه وكثير أمثالها من وجوه النسبة بينكم وبين الله تعالى ، فعلى فهمها والشعور بها والوفاء بمقتضياتها تتوقف قوة علاقتكم بالله وتقربكم إليه . وإنكم على قدر ما تغفلون عنها ولا تتفكرون في الوفاء بمقتضياتها تبتعدون عن الله وتنفصم صلتكم عنه ، وعلى قدر ما تكونون متنبهين إليها ساهرين على الاحتفاظ بها والاهتمام بشأنها ، تكون علاقتكم به قوية عميقة .

إلا أن هذا الطريق الفكري لا يؤتي ثمره بل لا يمكن التمسك به إلى مدة طويلة ما لم يكن مستنداً إلى الطريق العملي ، وهو الطاعة المخلصة للأحكام الالهية وبذل النفوس والنفائس في كل طريق يفضي إلى مرضاة الله سبحانه وتعالى . ومعنى الطاعة للأحكام الإلهية ان تعملوا بكل ما أمر به الله تعالى ، عن طواعية نفوسكم وعلى منشط منكم ومكره سراً وعلانية .

بدون أن تراعوا فيه غرضاً دنيوياً وإنما تراعون فيه وجه الله عز وجل ، وأن تنتهوا عن كل ما نهى عنه الله سبحانه وتعالى سراً وعلانية ، على كراهية ونفرة قلبية منكم ، وأن لا يكون الباعث لكم على هذا الانتهاء خوفكم من مضرة دنيوية ، ولكن خوفكم من الله تعالى وحده ، وهذا ما سيرتفع بكم إلى درجة تقوى الله .

وأما ما سيرتفع بكم إلى درجة الإحسان بعد درجة التقوى هذه ، فهو ان تعملوا لترقية كل فضيلة يحبها الله ورسوله وإحباط كل رذيلة يبغضها الله ورسوله ، وأن لا تضنوا في هذه السبيل عن بذل كل ما تملكون من نفوسكم ونفائسكم وأوقاتكم وجهودكم وقواكم الفكرية والقلبية ، مع ملاحظة أن لا ينشأ في قلوبكم شيء من الزهو والاعتزاز بما تأتون به في هذه السبيل من أعمال التضحية والإيثار والفداء ، ولا أن يمر بخلدكم أنكم قد صنعتم بها إلى أحد يداً ، بل يجب أن تكون فكرتكم على كل حال أنكم مقصرون في أداء ما عليكم من حق خالقكم سبحانه وتعالى .

وسائل تنمية العلاقة بالله :

وان اختيار هذا الطريق وسلوكه ليس بشيء هين ، بل هو شعب من أصعب الشعاب يحتاج اجتيازه إلى قوة غير عادية .

وأما الوسائل التي يمكن أن يستعان بها في تنشئة هذه القوة في الإنسان ، فهي :

١ — الصلاة : لا الصلاة المكتوبة والسنن فحسب ، بل صلاة النوافل أيضاً على حسب المقدرة . ولكن مما يجب التنبه له بهذا الصدد ان عليكم أن تؤدوا النوافل بالإخفاء على قدر استطاعتكم حتى تتقوى علاقتكم الشخصية بالله وتنشأ فيكم صفة الإخلاص والتجرد . إن إظهار الإنسان صلاته النوافل ولا سيما صلاته في جوف الليل قد ينشىء فيه رياء من أشنع أنواع الرياء وكبراً من أرذل وأخطر أنواع الكبر ، مما يكاد يُهلك نفس المؤمن ويجعل كل أعماله هباء منثوراً . ومثل هذه المضرات أيضاً توجد في إظهار وإعلان النوافل والصدقات والاذكار الأخرى .

٢ — ذكر الله : يجب أن لا ينقطع عنه الإنسان في أي لحظة من لحظاته وعلى أي حال من أحوال حياته . غير أنه لا تصح له الطرق التي اخترعتها الطوائف المختلفة من الصوفية في الأدوار المتأخرة أو اقتبستها من الفقراء الهنود أو الرهبان المسيحيين أو غير هؤلاء وهؤلاء . وإنما أصح طرقه وأحسنها ما قد عمل به النبي الكريم صلى الله عليه وسلم نفسه وعلمه أصحابه . فعليكم أن تستحضروا أكثر ما تستطيعون من الأذكار والأدعية المأثورة الثابتة عن الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله

عليهم . ولكن يجب أن لا تكتفوا بحفظها وتحريك الألسنة بها دون فهم . بل عليكم أن تحفظوها مع استحضار معانيها ومعرفة مراميها ومقاصدها . فهذا أحسن الطرق المؤثرة لتجديد ذكر الله واداء الأوراد والوظائف .

٣ – الصوم : لا صوم الفريضة فحسب ، بل صوم التطوع أيضاً . وان أحسن وأعدل وجوه صوم التطوع أن تلزموا أنفسكم بصيام ثلاثة أيام في كل شهر . وتحاولوا أن تنشئوا فيكم في هذه الأيام الثلاثة خاصة كيفية التقوى ، التي يقول عنها القرآن انها الغرض الأساسي من الصوم « لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » .

- الإنفاق في سبيل الله : لا الزكاة المفروضة فحسب ، بل صدقة التطوع أيضاً على قدر استطاعة الإنسان . ومما يجب ملاحظته بصفة خاصة في هذا الصدد ، أن ليست العبرة في الإنفاق في سبيل الله ، بالمقدار الذي ينفقه الإنسان من أمواله ، وإنما العبرة كل العبرة بالروح والعاطفة التي ينفقه بها ابتغاء لمرضاة الله . فرجل فقير إذا أنفق في سبيل الله قرشاً واحداً على شدة احتياجه اليه ، فهو أحب إلى الله وأعظم أجراً وأرفع قدراً من ألف جنيه ينفقها رجل غني من أمواله المتوفرة المتدفقة . ومما يجب أن تعرفوه مع هذا أن الصدقة من الوسائل المهمة التي قررها الله ورسوله لتزكية النفس . ولكم ، إذا شئتم . أن تجربوا ما يترتب عليها من الأثرات في النفس

الإنسانية . وذلك انه إذا زلت قدمكم وصدرت منكم خطيئة أو هفوة ، فاكتفوا بالتوبة والندامة المجردة مرة ، وبالمرة الثانية إذا صدرت منكم زلة أو هفوة مثل هذه ،فتصدقوا بشيء من أموالكم مع التوبة والندامة . فستعرفون الفرق البين بين الصورتين ولن تشكوا أبداً في أن الصدقة مع التوبة تطهر نفس الإنسان وتمسك بحجزته عن الوقوع في الرذائل والآثام والمنكرات بصورة أقوى وأحمد .

هذا هو المنهاج البسيط الذي قرره القرآن وأرشدنا اليه الرسول صلى عليه الله وسلم . فإذا عملتم به : تتصلون بالله وتتقربون اليه مع معيشتكم بين أهليكم ومع مزاولتكم جملة شؤون حياتكم الاجتماعية بدون أن تشعروا بحاجة إلى رياضة من رياضات الصوفية أو مراقبة من مراقباتهم .

مقياس العلاقة بالله :

أما كيف لكم أن تعرفوا مدى علاقتكم بالله وهل انها في ازدياد وتقدم أم في نقص وتقلص مع مرور الأيام ، فلا حاجة لكم لذلك إلى البشائر في النوم ومظاهر الكشف والكرامات ومشاهد الأنوار في الحجرات المظلمة لكل ذلك ، فالله تعالى قد وضع بقلب كل انسان آلة لمعرفة مدى علاقته بالله ، فله أن يقيسها بهذه الآلة في حالة اليقظة وفي ضوء النهار في أية ساعة من ساعاته إذا شاء . استعرضوا حياتكم وتصرفاتكم ومساعيكم

وكل ما تجيش به قلوبكم من العواطف والمشاعر والنزوات ثم حاسبوا أنفسكم لتروا إلى أي حدّ أنتم صادقون مخلصون في بيعكم الذي عقدتموه بينكم وبين ربكم بإيمانكم به وتصديقكم لكتابه ورسوله وهل أنتم تتصرفون في ما عندكم من ودائعه تصرف الأمين أو تختانون فيها . وأي جزء من أوقاتكم وأموالكم ومواهبكم الفكرية تصرفونه للسعي في سبيله وأي جزء منها تصرفونه في أعمالكم وشؤونكم الأخرى . وكيف يكون قلقكم واضطرابكم وحزنكم وألمكم لو حل المكروه في مصالحكم وعواطفكم الشخصية ، ماذا يبلغ بكم هذا القلق والاضطراب والحزن والألم عندما ترون الناس في الدنيا يخرجون على الله وشريعته خروجاً سافراً وينتهكون حرماته علناً ؟ فهذه وأمثالها من الاسئلة يمكنكم أن تلقوها على أنفسكم ثم تتلقوا منها جوابها في أي ساعة من ساعات ليلكم أو نهاركم . فتعرفوا مدى علاقتكم بالله أو قطيعتكم عنه ؟ وأما البشائر والانكشافات والكرامات والأنوار والتجليات فلا يهمنكم اكتسابها ، فانه لا كشف أعظم من إدراك حقيقة التوحيد في متاعب هذه الدنيا المادية الخلابة ، ولا كرامة أكبر من الاستقامة على جادة الحق ازاء ترغيبات الشيطان وذريته وترهيباتهم ومواعيدهم ووساوسهم ، ولا مشاهدة للأنوار أحق للقدر والإجلال من الاهتداء لنور الحق واتباعه في دياجير الكفر والفسق والعصيان والضلال المطبق على رؤوس اليوم ، وان أكبر بشرى يمكن أن يرتاح اليها المؤمن هي : أن يقول : ربي الله ، ثم يستقيم على

صراطه المستقيم « إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ المَلاَئِكَةُ » .

إيثار الآخرة على الدنيا :

وأريد أن أوصيكم بعد ذلك بأن تؤثروا الآخرة على الدنيا في كل عمل من أعمالكم وتجعلوا سعادتها هي المقصود الوحيد من ورائه .

إن الذي نجد بيانه في غير موضع واحد من القرآن الحكيم ان الدار الآخرة هي دار القرار وهي دار الحيوان أي هي المقام الأبدي السرمدي لحياة الإنسان . وانّنا ما بعثنا في هذه الدنيا الفانية إلا للاختبار : مَنْ منا يثبت نفسه أهلاً لوراثة جنة الله ونعيمها مستخدماً ما أوتي في هذه الدنيا من المتاع القليل والتصرفات المحدودة والفرص الضيقة ؟ ليس اختبارنا في هذه الدنيا في ابراز مهارتنا في تسيير الصناعات والتجارات والزراعات والحكومات ولا في انشاء الأبنية والشوارع ولا في احداث مدنية راقية رائعة ، انما هو في اداء حق خلافة الله في ودائعه : هل نقضي هذه الحياة الدنيا متمردين عليه أم خاضعين لقانونه ؟ وهل نعمل فيها تحقيقاً لمرضاته أم تحقيقاً لمرضاة أنفسنا ومرضاة أرباب من دون الله ؟ وهل نبذل فيها جهودنا لتزيين الأرض حسب المعيار الإلهـي أم نكثر فيهـا الفساد ونهلك فيهـا

الحرث والنسل ؟ وهل نقاوم فيها القوى الشيطانية ونعمل على كسر شوكتها أم نستسلم لجبروتها ونخضع لقوانينها ؟ انه ما كان اختبار أبينا آدم في الجنة إلا في هذا الأمر وهو الذي سيكون فيه اختبارنا لوراثة الجنة الأبدية في الآخرة . فما المعيار الحقيقي لنجاحنا أو فشلنا ؟ انه مَنْ منا أدى اختباره متربعاً فوق كرسي الحكم أو معلقاً على خشبة الشنق ؟ ومَنْ منا كان اختباره باعطائه سلطات عالية أو باعطائه كوخاً متواضعاً ؟ إن هذه الظروف الموقتة العارضة خلال فترة الاختبار ان كانت ملائمة للإنسان ، فهي لا تدل على فوزه وسعادته . وان كانت على عكس ذلك ، فهي لا تدل على خسرانه وشقائه ، وانما الذي ينحصر فيه نجاحه وسعادته الأبدية في حقيقة الامر أن يثبت نفسه في حياته الدنيا عبداً وفياً لله ، متبعاً لمرضاته حيثما جلس من الأماكن ومهما اعطي من الوسائل لاداء الاختبار .

إخواني وسادتي ! إن هذه الحقيقة التي وضعتها بين أيديكم لا يكفي أن تفهموها مرة واحدة ، بل انه من الواجب عليكم أن تبذلوا كل جهودكم لتجعلوا أنفسكم تذكرونها وتستحضرون مقتضياتها في أذهانكم دائماً . وإلا فانكم لا تأمنون أبداً أن تغفلوا عنها ولا تعملوا في الدنيا إلا غافلين عن الآخرة وجاعلين الدنيا أكبر همكم . والسبب في هذا ان الآخرة حقيقة وراء الحواس والمشاعر لا تشعرون بها في هذه الدنيا وإنما تشعرون بها بعد مماتكم فلا يمكن أن تدركوها وتدركوا نتائجها المرضية

وغير المرضية إلا بالتفكر والكد الذهني ، وأما الدنيا – على العكس من هذا – فشيء تشعرون به وتذوقون حلاوته ومرارته وتتمثل أمامكم نتائجه المرضية وغير المرضية في كل حين من أحيانكم ، ولذا فهي تحاول دائماً أن تغركم بأن نتائجها هي النتائج الحقيقية . إن آخرتكم إذا فسدت ، فإنكم تشعرون بشيء من مرارتها في ضمائركم بشرط أن تكون ضمائركم حية . وعلى العكس من هذا فان دنياكم إذا فسدت ، تشعر كل جارحة من جوارحكم بوخزتها ، كما انه يشعر بها ويشعركم بها كل من أولادكم وأقاربكم وأصدقائكم وعامة أفراد المجتمع ، منفردين ومجتمعين . وكذلك ان الآخرة إذا صلحت ، فانما تشعرون بحلاوتها في ناحية من نواحي قلوبكم بشرط أن لا تكون هذه الناحية مصابة بالغفلة والشلل ، وما إذا صلحت الدنيا فهي تلذ جميع وجودكم وتشعر بها كل حاسة من حواسكم ، وتشاركم في الشعور بها جملة أفراد مجتمعكم . وهذا هو السبب في أن الإيمان بالآخرة وان لم يكن صعباً من حيث هو عقيدة ، إلا انه من الصعب جداً أن تقضوا حياتكم كلها وفقاً لمقتضياتها بجعلها وجهة وحيدة لنظركم وأساساً وحيداً لنظامكم للأخلاق والأعمال ، وان الاستخفاف بالدنيا باللسان مهما كان هيناً فإنه ليس من السهل أبداً أن تجردوا قلوبكم عن حبها وفكرتكم عن طلبها . فهذه الكيفية – التجرد عن حب الدنيا والتخفف من وطأتها – يتطلب انشاؤها إلى جهداً كبيراً غير عادي ولا يمكنكم أن تحافظوا عليها في أنفسكم إلا بسعي متواصل.

الوسائل لإنشاء همّ الآخرة :

وإذا سألتم بعد ذلك : « كيف نقوم بهذا السعي وما الذي نستعين به في صدده ؟ قلت إن هناك طريقين للقيام بهذا السعي : طريقاً فكرياً وطريقاً عملياً .

أما الطريق الفكري فهو أن لا تكتفوا بقولكم : « آمنا باليوم الآخر » بألسنتكم ، بل عليكم أن تعودوا أنفسكم وتروضوها على قراءة القرآن الحكيم بكل تدبر وتأمل ، فانكم بهذا الطريق ستشاهدون العالم الآخر وراء حجب عالم الحياة الدنيا بعين اليقين شيئاً فشيئاً . ولعل القرآن الحكيم ليست فيه صفحة واحدة تخلو من ذكر اليوم الآخر على وجوه مختلفة وأساليب متنوعة . وفي غير موضع واحد من آياته تجدون مشاهد عالم الآخرة قد صورت بكل تفصيل ، كأن واحداً يسرد عليكم ما قد رأى هناك بأم عينه ، بل قد صورت في بعض آياته بطريق رائع جداً بحيث ان الإنسان عندما يقرأ هذه الآيات يشعر بنفسه قد انتهى إلى عالم الآخرة . فلذا أقول إنكم إذا ألزمتم أنفسكم قراءة القرآن الكريم تدبراً وتأملاً على طريق منظم متصل ، فانه من الممكن أن يتغلب على أذهانكم — شيئاً فشيئاً — هم الآخرة ، ولا يفارقكم أبداً هذا الشعور بأن مستقركم السرمدي إنما هو الآخرة وأن عليكم — لهذا — أن تأخذوا لها أهبتها في حياتكم الدنيا الفاتنة هذه .

كما ان هذه الكيفية الفكرية يمكن أن تتقوى فيكم

بدراستكم سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأقواله ، فان الرسول صلى الله عليه وسلم في كثير من أحاديثه قد ذكر أحوال الحياة بعد الموت وأهوال الآخرة بكل تفصيل ثم ان لكم أن تعرفوا بمطالعتكم لكتب الحديث والسيرة كيف كان الرسول عليه الصلاة والسلام وصحابته رضوان الله عليهم أجمعين متشبعين بهموم الآخرة في كل حين من أحيانهم .

ثم ان عليكم لإرساخ هذه الكيفية في أذهانكم ان تستعينوا بزيارة القبور . والغرض الوحيد من زيارة القبور — كما بيّنه النبي صلى الله عليه وسلم — انها تذكر الإنسان بموته حتى لا يلهيه متاع هذه الحياة الدنيا عن الآخرة ولا ينسى أن الآخرة هي دار القرار وان إليها مرده وقد سبقه إليها كثيرون . وكثير منهم منتظرون للحاقهم بهم . ولكن مما يجب أن تكونوا على ذكر منه بهذا الصدد ان أقل القبور نفعاً تلك التي قد جعلها الجهال مراكز للاستعانة والاستمداد ، وأن أكثرها نفعاً قبور عامة المسلمين ومساكينهم أو قبور ملوكهم وعظمتهم الشامخة التي لا تجدون عليها حاجباً يعلم الناس آداب المثول بين أيدي الملوك والعظماء .

وأما الطريق العملي فهو : انكم ما دمتم تعيشون في هذه الدنيا . فستجدون في حياتكم العائلية وفي حياتكم مع أقربائكم وجيرانكم وأحبابكم وعارفيكم وفي جميع شؤون التجارة والاقتصاد مفترقاً يتشعب منه طريقان يكون اختيار أحدهما

مقتضى لإيمانكم بالآخرة واختيار الثاني مقتضى لافتتانكم بالدنيا وعبوديتكم لحطامها الفاني . فعليكم في مثل هذه الظروف أن تحاولوا كبح جماح أنفسكم حتى لا تتجهوا إلا إلى الطريق الأول . وأما إذا كنتم قد اتجهتم إلى الطريق الثاني على ضعف منكم أو غفلة ، فعليكم أن تبذلوا وسعكم للرجوع عنه لأول انتباهكم ، مهما كنتم قد ابتعدتم فيه . ثم عليكم أن لا تنقطعوا عن محاسبة أنفسكم في كل حين من أحيانكم لتروا : كم نجحتم في التوجه إلى الآخرة وكم نجحت الدنيا في صرفكم إلى نفسها عن طريق الآخرة . فهذا الطريق العملي ستعرفون به بأنفسكم إلى أي درجة قد نمت فيكم فكرة الآخرة . وما هو النقص الذي لا يزال يوجد فيكم حتى تفكروا في تداركه . فاذا كان هذا النقص من النوع التي تستطيعون تداركه بأنفسكم : فعليكم أن تبذلوا الجهد في تداركه بأنفسكم ، وأما إذا كان من النوع الذي لا تستطيعون تداركه إلا بالعوامل الخارجية ، فعليكم لتداركه أن تتجنبوا معاشرة عبّاد الدنيا وترتبطوا بالصلحاء الأتقياء الذين تعرفون عنهم أنهم يؤثرون الآخرة على الدنيا . ولكن مما يجب أن تكونوا على معرفة منه في هذا الشأن أن الدنيا لم تُكتَشَفْ فيها حتى الآن وسيلة تستطيع أن تضيف اليكم أو تبعد عنكم صفة خلقية ما لم تبذلوا لها نوعاً من الجهد بأنفسكم ، أو أن تنشىء فيكم صفة لا توجد فيكم مادتُها أصلاً .

الاهتمام بشؤون البيت :

ومع هذا فهناك أمر آخر أريد أن أنصح لكم به في هذا الصدد ، هو أن تبذلوا كل اهتمامكم باصلاح أولادكم وأهل بيتكم « قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً » . ان أولادكم وأزواجكم اللذين تتفكرون دائماً في مأكلهم ومشربهم وملبسهم ومسكنهم ، عليكم أن تتفكروا قبل كل شيء آخر في إنقاذهم من النار وتبذلوا ما استطعتم من الجهد والسعي لإصلاح عاقبتهم وهدايتهم إلى طريق الجنة . وأما إذا فسد أحد منهم بعد ذلك على رغم محاولتكم لإصلاحه ، فانما وزره على نفسه ولا تسألون عنه يوم القيامة . وكثيراً ما يكتب إليّ أناس عن بعض رفقائهم من أعضاء الجماعة بأنهم لا يفكرون في إصلاح أولادهم وتربيتهم بقدر ما يبذلون الاهتمام بإصلاح الناس خارج بيوتهم . ويجوز أن تصح هذه الشكاية في بعض من أعضاء الجماعة وتكون مبالغاً فيها في البعض الآخر ، إذ من الصعب عليّ أن أحقق أحوال كل واحد منهم على انفراد ، ولذا فاني أكتفي في هذه الخطبة بأن أنصح لجميع أعضاء الجماعة بأمر شامل هو أنه من اللازم أن تكون أمنية كل واحد منهم — وسعيه كذلك — أن تقر عينه ويثلج صدره برؤية من يحبهم في الدنيا يسلكون طريق الخير والرشد والسلام « رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً » . كما انه من الواجب على أعضاء الجماعة بهذا الشأن

أن يهتم كل واحد منهم بإصلاح وتثقيف أولاد الآخرين فانه ، طالما نرى أن ولداً لا يقبل نصيحة والده ولا يتأثر بها بقدر ما يقبل نصيحة صديق لوالده ويتأثر بها .

إصلاح ذات البين وطريقه :

ومع ذلك فاني أنصح لأعضاء الجماعة بأن عليهم — بجانب سعيهم لإصلاح أنفسهم وإصلاح أهل بيتهم — أن يبذلوا السعي لإصلاح ذات بينهم ، أي أن يهتم كل واحد منهم بإصلاح الآخر . وذلك ان الذين ينخرطون في سلك الجماعة ابتغاءً لمرضاة الله وإعلاءً لكلمته في الدنيا ، من الواجب عليهم أن يكونوا متحابين متناصحين فيما بينهم ، وأن يعلموا كل العلم بأنه من المحال أن يحالفهم النجاح في بلوغ غايتهم ما لم تكن جماعتهم قوية باعتبار أخلاقها ونظامها الداخلي ، ومن اللازم ان يجعل هذا الشعور كلَّ واحد منهم في عون أخيه يساعده في تربيته ويسانده للتقدم في سبيل الله . وهذا هو الطريق للتزكية الجماعية في الإسلام : إذا رأيتني أسقط ، فعليك أن تبادر إلى إمساكي وانتشالي واعانتي على النهوض والسير مع الركب . وإذا رأيتك تضمحل وتزل قدمك وتقعد بك الهمة . فعليَّ أنا أن أتقدم لآخذ بيدك وأساعدك على النهوض .... وإذا رأيت نوعاً من الوسخ على ذيلي ، فعليك أن تسارع إلى تطهيره . وإذا وجدت أنا ذيلك متلوثاً بشيء من الوسخ فعليَّ

أن أبذل كل فكري وجهدي لإزالة النجاسة عنه ... وعليك أن تفضي إليّ بما ترى فيه فلاحي وسعادتي ؛ وعليّ أن أنبهك على ما أرى فيه خيرك وصلاحك . ان الناس عندما يتعاونون بينهم في الدنيا المادية ، يزدادون رفاهة وربحاً بصفة جماعية ، فهكذا عندما يروج طريق التعاون والتعاضد والتساند في دنيا الأخلاق والروح ، فانه لا بدّ أن ينمو رأس مال الجماعة ويزداد ويتضخم .

والطريق الصحيح للإصلاح الجماعي انه إذا خالجك شيء عن أخيك ووجدت عنه شكاية في نفسك ؛ فعليك أن تجنب نفسك العجلة وتبذل ما استطعت من الجهد لفهم حقيقة موقفه وحقيقة الشكاية التي نشأت عنه في نفسك ، ثم عليك أن تتحدث إليه وتدعوه إلى إصلاح نفسه في الخلوة حيث لا يكون معك ومعه أحد غيركما . وأما إذا رأيت بعد ذلك ان الإصلاح لم يتحقق وكان الأمر ذا أهمية في نظرك . فعليك أن تبوح به إلى أمير فرع الجماعة في مدينتك ، وعليه أن يبذل الاهتمام باصلاحه أولاً ويعرض أمره على أعضاء الجماعة في اجتماعهم الخاص بعده ، والجدير بالملاحظة في هذا الشأن أن ذكر هذا الأمر لمن لا علاقة له به أو تشهيره بين الناس في غياب صاحبه من الغيبة المنهي عنها في الشريعة قطعاً ، فاجتنابه واجب لا محالة . وأما الرجوع إلى المركز — أي مركز الجماعة — في مثل هذه القضايا المحلية . فلا يصح ما لم ير أمير الجماعة المحلية الحاجة إلى

عرضها على المركز بعد يأسه من الإصلاح بنفسه وبغيره من أعضاء الجماعة المحلية .

الطريق الأوفق للانتقاد الجماعي :

وان انتقاد بعضنا لبعض على أخطائنا ومواطن الضعف فينا ، من أنفع الوسائل لاصلاحنا الجماعي ، إلا أن هذا الانتقاد يمكن أن يصبح ضاراً إلى أقصى حدود ما لم نراع فيه الحدود الصحيحة والآداب اللازمة للانتقاد الجماعي . ولذا أريد أن أبسط لكم القول فيما لهذا الانتقاد من حدود ومبادىء :

١ – يجب أن لا يكون الانتقاد في كل حين وفي كل مجلس . وإنما يكون في مجلس خاص على إذن بل على طلب من أمير الجماعة المحلية .

٢ – على الناقد قبل أن يتناول الموضوع بالانتقاد أن يحاسب نفسه مع الاعتقاد بأن الله شاهده ، ويرى هل هو ينتقد أحداً من إخوانه بعاطفة الإخلاص والنصح أم انما يبعثه عليه عاطفة نفسانية .. أما في الصورة الأولى فلا بأس عليه أن ينتقد ، وأما في الصورة الأخرى فعليه أن يلزم نفسه السكوت ، ويبعدها عن الوقوع في الإثم .

٣ – يجب أن لا يكون الانتقاد إلا بلهجة يشعر بها كل من يسمعك بأنك تريد الإصلاح ، ولا تريد التشهير .

٤ — وعليك أن تقنع نفسك ، قبل أن تحرك لسانك بالانتقاد ، بأن لاعتراضك أساساً من الصحة ، فانك إذا أقدمت على الانتقاد بدون تأمل سالف ، ترتكب إثماً قد يظهر في الأرض الفساد .

٥ — وعلى الذي هو موضع النقد أن يسمع النقد بكل صبر وسكوت ويتأمله بكل عدل واتزان ، ثم يعترف بما يكون فيه من الحق ويرد بالدليل على ما يكون فيه من سواه ، وأما كراهية النقد واظهار الغضب والسخط عليه ، فانما هو دليل على استكبار الإنسان واغتراره بنفسه .

٦ — ومن اللازم أن لا تطول سلسلة النقد وجواب النقد ، فجواب الجواب ، حتى لا تثير الضغائن والأحقاد بين الأفراد بعضهم لبعض بصفة دائمة ، ويجب أن يقف الكلام عند حد اتضاح الوجوه المختلفة للطرفين . والقضية ، إذا لم تنته بهذا ، فمن الواجب ارجاؤها إلى مجلس آخر حتى يتفكر فيها كل من الطرفين على انفراده بكمال هدوء وسكون خاطر . وإذا كانت من الأهمية حيث لا بد من التحقيق فيها ، فلا بأس بعرضها لبحث والمناقشة في مجلس آخر . وعلى كل يجب أن يكون في نظامكم الجماعي مجال ثبت في الشؤون التي يختلف فيها أفراد الجماعة .

فالنقد إذا روعيت فيه هذه الحدود والآداب ، فانه

لا يعود علينا بالنفع فحسب ، بل هو ضروري لا غنى عنه لإصلاح الحياة الجماعية ، وبدونه لا تستطيع أي جماعة من الجماعات المنظمة أن تبقى متمسكة بالحق سالكة طريق الصواب لمدة طويلة . ويجب أن لا يكون في جماعتكم أحد يستثنى من النقد . سواء أكان هو أميركم أو مجلسكم للشورى أو جماعتكم بأجمعها . واني لأعتقد أن النقد بهذه الصفات لا مندوحة عنه للاستبقاء على صحة الجماعة ، فإذا انسد بابه في حياتنا الجماعية — لا سمح الله — فلا بدّ أن ينفتح على الفور باب الفساد والاضطراب الداخلي فيها . واني لأجل هذا ما زلت أهتم بعقد مجلس خاص بأعضاء الجماعة بعد كل مؤتمر عام عقدناه للجماعة منذ أول أيامها إلى أيامنا هذه ، حتى يتحقق استعراض أعمال الجماعة ونظمها بكل نقدومحاسبة وتمحيص وغربلة . وفي كل مجلس عقد لهذا الغرض حتى الآن كنت أنا الذي أقدّم نفسي للنقد قبل كل شخص آخر ، حتى إذا كان هناك في الجماعة أحد يريد الاعتراض عليّ في شيء من أعمالي وتصرفاتي ، فعليه أن يأتي باعتراضه أمام سائر أعضاء الجماعة بكل تفصيل وبدون كلفة ، وأنا إما أن أصلح نفسي واعتدل في تصرفاتي بعد ذلك أو أزيل ما في ذهن ذلك الرجل وأذهان الذين يتفكرون مثله من سوء الفهم . فقد انعقد مجلس مثل هذا البارحة وشاهد فيه جميع رفاقنا مشاهد النقد الحر العلني ، وقد

تأسفت لما علمت أن هذا قد سبب شيئاً من الوجوم والقلق في قلوب بعض رفاقنا الجدد الذين لم يتفق لهم الاشتراك في مجلس كهذا إلا لأول مرة . وإني على مثل اليقين، انهم لو نظروا اليه بعين الاعتبار والاستبصار لوجدوا أنه يعود على الجماعة ونظامها بأعظم الفوائد ولغدت في نظرهم أكثر قدراً واحتراماً . وهل هنا في هذه البلاد جماعة غير الجماعة الإسلامية ينعقد لها مجلس كهذا ، ويشترك فيه مئات من أعضائها ينتقدون فيه بعضهم بعضاً بمثل هـــذه الحرية ساعات ، دون أن يتسابوا ودون أن يهجم بعضهم على بعض بالكراسي والمناضد والعصيّ بل لا يكون في قلب واحد منهم تجاه غيره شيءٌ من الضغن والسخط والغلّ .

الالتزام بالسمع والطاعة ونظام الجماعة :

وأمر مهم آخر أرى من الواجب على نفسي دعوتكم إلى الشعور به . هو أنه تنقصكم صفة الالتزام بالسمع والطاعة ونظام الجماعة . إن نظامنا وإن كان في غاية من الاحكام بالنسبة لأنظمة الجماعات الأخرى الموجودة في هذا الزمان . إلا أننا إذا ما قسناه بمقياس الإسلام المنشود ، عرفنا ، بدون ما ريب . انه في غاية من التخلف ازاءه .

ما أنتم إلا جماعة قليلة قد برزتم إلى الميدان بيسير من الوسائل ، مع أن المهمة التي تواجهكم هي أن تغيروا نظام الحياة

الحاضر لا بصورته الظاهرة فحسب ، بل بروحه الباطنة أيضاً متحدّين قوى الفسق والجاهلية التي تزيد عن قوّتكم بآلاف المرات ، ووسائلها أضعاف مضاعفة من وسائلكم . انظروا ... انه لا نسبة بينكم وبينها من جهة العدد ولا من جهة العتاد ، فإذن أي قوة غير قوة الأخلاق والنظام يمكن على أساسها أن ترجوا الغلبة على هذه القوى الباطلة ورجحان كفتكم على كفتها ؟ ! ان الناس إذا اعترفوا لكم بعلو كعبكم في الأمانة باستقامة أخلاقكم ونزاهة تصرفاتكم في جانب ، وفي الجانب الآخر إذا كنتم متمتعين بنظام محكم بحيث يمكن للمسؤولين في الجماعة أن يحشدوا قوتها على أي ثغرة من ثغور الجهاد بلمحة من البصر وبأدنى من الإشارة ، فانه من الممكن أن تتوقعوا النجاح في غايتكم .

ومن الوجهة الدينية الخالصة ، فان طاعة عامة أفراد الجماعة لأميرهم في المعروف جزء لطاعتهم لله ورسوله . وإذا كان الإنسان لم يقم بأمر هذه الدعوة إلا مع الاعتقاد بأنه إنما يقوم بأمر الله ورسوله . وهو لم يرض بأحد أميراً على نفسه إلا ابتغاء لوجه الله وتقرّباً اليه ، فهو بطاعته له في أوامره المشروعة إنما يطيع الله ورسوله في حقيقة الأمر .... ويكون مبادراً إلى السمع والطاعة لأميره على قدر ما يكون على اتصال بالله ورسولـه ويكون مقصراً في السمع والطاعة لأميره على قدر ما يكون مقصراً في اتصاله بالله ورسوله . قل لي بالله أي تضحية هي أكبر قدراً وأعظم أجراً من أن تطيع أميرك الذي لا يخضعك له

قانون من قوانين الدنيا ، وإنما قد بايعه أميراً لنفسك ابتغاء لمرضاة الله تعالى وحده . فطاعتك هذه بما أنها لله وحده ، فاجرك عليها كبير عند الله . وعلى العكس من هذا إذ كنت شريكاً في الجماعة ، ولكن لا تجد نفسك مستعداً لترى أحداً فوقك ترباً بنفسك عن طاعته وامتثال أمره ، أو تطيع أميرك ولكن مع تململ وحرج في نفسك أو تتكأ في امتثال أوامره إذا وجدتها لا تتفق مع مصالحك وآمالك الشخصية ، فأنت بكل هذا ان كنت تدل على شيء فانما تدل على أن نفسك ما استسلمت لله ولم تتجرد بعد من أنانيتها .

نصيحة لأمراء الجماعة :

ومع هذه النصيحة لأعضاء الجماعة . فاني أريد أن أبذل نصيحة لأمراء الجماعة أيضاً هي أن يتعلموا الطريق لصحيح لاصدار أوامرهم إلى عامة الأعضاء ، وجعلهم يطيعون كاملة في منشطهم ومكرههم . إن أي شخص إذا اسنـــد اليه منصب المسؤولية في نظام الجماعة وكان تحته عدد من أعضائها ، فانه لا يحل له أبداً أن يرى نفسه فوقهم ويحاول أن يتحكم فيهم تحكمـــاً جائراً ، ويشعر بلذة الكبرياء في قيادته لهـــم وتنفيذه أوامره فيهم ... إنما عليه أن يعاشرهم كأنه أخوهم المشفق عليهم ولا يعاملهم إلا باللطف واللين ، وليكن على حذر في كل حين من أحيانه أن تنشأ في أحد من الأعضاء عاطفة العصيان . والخروج

عن الطاعة ، وتكون تبعة ذلك على تصرف من تصرفاته الخاطئة ، وبما أن فيهم الشبان والشيوخ ؛ والأقوياء والضعفاء ، والفقراء والأغنياء ، فعليه أن لا يقودهم جميعاً على طريق بعينه ، بل عليه أن يراعي لكل واحد منهم ظروفه المخصوصة ويعذره حيث يستحق العذر في امتثال أمر من أوامره . وعليه أن يربّيهم بطريق يجعلهم يعتبرون حتى مشورات الأمير ونداءاته أوامر لأنفسهم ولا يترددون في امتثالها على فورهم . أما أن يحتاج الأمير إلى اصدار « الأمر » اليهم بدلا من توجيه النداء اليهم فانه إن كان يدل على شيء فانه يدل على ضعف « الوعي الجماعي » في أعضاء الجماعة . ان الأوامر لا تصدر إلا إلى جنود ينالون الرواتب ولا يعملون إلا لأجل الرواتب ، وأما الجنود المتطوعون الذين ما اجتمعوا تحت لواء واحد ولم يشكلوا من أنفسهم جماعة إلا من تلقاء أنفسهم وابتغاء مرضاة ربهم ، فانهم لا يحتاجون في شأن دينهم إلى « أمر » بطاعة أميرهم الذي ما رضوا به أميراً على أنفسهم إلا بأنفسهم ، وإنما يحتاجون إلى أن يعرفوا أن هناك فرصة سانحة لهم لأداء خدمة من خدمات ربهم ، ولعمر الحق ان هذه الكيفية إذا ما نشأت في أمراء الجماعة وعامة أعضائها ، فلا بد أن يزول كثير من التوترات وسوء العلاقات التي قد تنشأ بين الأمراء والمأمورين أحياناً في الوقت الحاضر فيكونوا جميعاً أحباء في ما بينهم يفدي بعضهم بعضاً بأرواحهم وبكل شيء غال عندهم .

آخر نصيحة :

وان آخر نصيحة أريد أن أفضي بها إلى جميع أولئك الذين يتصلون بالجماعة الإسلامية ، من أعضائها ومؤازريها ، هي أن يحثوا أنفسهم على عاطفة الإنفاق في سبيل الله ، وأن يؤثروا أعمالهم لله على أعمالهم لأنفسهم . وان تبلغ بهم هذه العاطفة مبلغاً بحيث لا يقر لهم قرار ولا يرتاح لهم بال ولا يهنأ لهم نوم إلا بتحقيقها . لا تكتفوا بجعلكم نفوسكم مسلمة ، بل عليكم أن تبذلوا الجهد وتعملوا الفكر كذلك لإدخال جيوبكم ، أيضاً في حوزة الإسلام . ولا تنسوا أبداً أن ليست الحقوق لله تعالى على أجسادكم وأرواحكم وأوقاتكم فحسب ، بل هي كذلك على أموالكم . والله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم قد وضعا أقل ما لهذه الحقوق على أموالكم من الحد ولم يضعا أكثر ما لها من الحد ، وإنما تركاه إلى أنفسكم . فراجعوا ضمائركم واستفتوها ما هو المقدار الذي إذا أنفقتموه من أموالكم في سبيل الله ، يصح لكم أن ترتاحوا وتعتقدوا ان قد أديتم ما كان لله من الحقوق على أموالكم . وفي هذا الشأن ليس لأحد أن يقول شيئاً عن غيره ، وإنما ضمير الإنسان وإيمانه هو أكبر مفت يصدر فيه حكمه . على ان هناك درساً قيماً عليكم أن تتلقوه من أعمال اولئك الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر . ولكنهم يقومون

في سبيل نظرياتهم الباطلة بتضحيات جبارة لا يسعنا ، نحن المؤمنين بالله واليوم الآخر ، امامها إلا أن نستشعر الخجل والندامة في انفسنا .

والاسف اني أحس بشيء من النقص في أعضاء الجماعة من حيث انهماكهم في أمر الدعوة وإقامة الدين . إن بعضهم – ولا شك – يعملون بكل جهودهم ، مما يبعث على الابتهاج والسرور . واني دائماً أدعو لهم بمزيد التوفيق من الله تعالى ، إلا أن بعضهم لا أرى فيهم من الانهماك في هذا الشأن ما يجب أن يوجد فيهم . ان الدنيا قد عمها الطغيان واستشرى فيها الفساد والفجور والعصيان وأصبح فيها دين الله مغلوباً على أمره ، أفليس كل هذا حرياً بأن يحدث في قلب كل مؤمن من نار القلق والاضطراب من نوع ما يشعر به في نفسه عندما يرى أحد أولاده مصاباً بمرض شديد أو يخاف الحريق في بيته على الأقل ؟ وفي هذا الشأن أيضاً ليس لأحد أن يقول شيئاً عن غيره أو يضع حداً لانهماكه وبذل جهوده لأمر الدعوة ، وإنما ضمير الإنسان وإيمانه هو أكبر مفت يصدر فيه حكمه . فعليه بنفسه أن يحكم بذلك القدر من الانهماك وبذل الجهد لأمر الدعوة ، التي إذا اضطلع به . حق له أن يعتقد أن قد حقق ما كان عليه من واجبات الدعوة ومقتضيات الحق ، غير ان له ان يلقي نظرة على أعمال وجهود أولئك الذين يؤمنون بالباطل وينفقون انفسهم في رفع كلمته وبث سمومه في العالم بهمم لا تعرف الخمود ولا تبتغي الركود .

نصيحة للأخوات المسلمات :

وكل ما قلت إلى الآن ، كان معظمه يتعلق بالرجال والنساء معاً ، وها أنا ذا أريد الآن أن أوجه كلمات إلى اولئك النساء خاصة ، اللاتي يعملن بالجماعة أو يهتممن بالرسالة التي قامت الجماعة لتحقيقها .

فأول ما يجب عليهن أن يبذلن أقصى ما يستطعن من الجهد والاهتمام للتعرف على دينهن ، ولا يكفي لهن في هذا الشأن أن يقرأن القرآن عن فهم وتدبر ، بل عليهن أن يدرسن الحديث والفقه على قدر ما تسمح لذلك أوقاتهن ، ولا عليهن أن يكن على معرفة بمبادىء دينهن ومقتضيات إيمانهن الأساسية فحسب . بل عليهن — مع ذلك — أن يبذلن الاهتمام لمعرفة أحكام للدين فيما يتعلق بحياتهن الشخصية والعائلية والاجتماعية . فإن جهل النساء بأحكام دينهن سبب مهم من تلك الأسباب الكثيرة التي لأجلها قد لاقت أمور غير شرعية رواجها في بيوت المسلمين . واتخذت كثير من عادات الجاهلية وتقاليدها سبيلها إليها . فعلى أخواتنا أن يفكرن في تدارك هذا النقص بأنفسهن قبل كل شيء آخر ، أما الجماعة فهي أيضاً ستبذل من الاهتمـــام ما يستحقه وذلك باقامـــة دورات مستقلة لتربية النساء خاصة ان شاء الله ، إلا أن هناك بعض العقبات تقوم في وجه الجماعة دون تحقيق هذه الخطة فعلاً في هذه الأيام ، على أننا قد قررنا الاهتمام بإشراك

النساء مع الرجال في الدورات التي تعقد قريباً ، لتربيتهم حيثما أمكن ذلك مع مراعات حدود الحجاب ، فعلى أخواتنا أن يستفدن من كل فرصة تسنح لهن للاشتراك في دورة لتربية كهذه ، لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً ونتمكن بعد مدة من عقد دورات خاصة لتربيتهن .

وثاني ما يجب عليهن بهذا الصدد أن يفكرن ويبذلن السعي المستطاع في تكييف حياتهن الشخصية والعائلية والاجتماعية وأخلاقهن وسيرتهن العامة وفق ما يحصل لهن من معرفة الدين بدراستهن القرآن والحديث والفقه واشتراكهن في دورات التربية ، انه من الواجب أن تكون كل امرأة مسلمة قوية في أخلاقها إلى درجة أنها إذا اعتقدت بصحة شيء ، استقامت عليه ولم تبرحه ، وإذا اعتقدت بطلان شيء ، أبت أن تميل اليه وترغب في قبوله مهما نالت في ذلك من المخالفة والمعاكسة من جانب أفراد أسرتها جميعاً . إن الآباء والأمهات والأزواج كلهم يستحقون الاحترام والطاعة من المرأة ، كل على قدر منزلته منها ، إلا أن حقوقهم جميعاً ليست بشيء بالنسبة لما عليها من الحقوق لله ورسوله . فعليها أن تأبى طاعة كل من أراد منهم أن يسلك بها طريق معصية الله ورسوله ، وتستعد لتحمل كل ما عسى أن تلاقي في هذه السبيل من المحن والشدائد متوكلة على الله ومحتسبة الأجر عنده . ولعمر الله انها على قدر ما تأتي به من الاستقامة والصمود عن الحق تترك آثاراً محمودة على أهل بيتها وأولادها ، وتتاح لها الفرصة لإصلاح البيوت

الفاسدة في المجتمع ، كما أنها بقدر ما تستسلم لمطالبهم الجائرة وتسايرهم في أعمالهم المخالفة لشريعة الله تحرم من بركات الإسلام في حياتها ، وتقدم لأهل بيتها وأولادها ومجتمعها نموذجاً غير محمود .. ضعف الإيمان والأخلاق .

والثالث من واجبات المرأة المسلمة فيما يتعلق بأمر الدعوة والإصلاح هو أن تهتم بإصلاح أهل أسرتها ونحوانها وأخواتها وما اليهم من ذوي قرباها أكثر من اهتمامها باصلاح غيرهم. وأما اخواتنا اللاتي قد وهب لهن الله الذرية ، فكأن الله قد أعطاهن أوراقاً للاختبار ، فهن إذا فشلن في هذا الاختبار ولم يحصلن فيه على درجات لازمة للنجاح ، فان أي أوراق أخرى للاختبار لا تستطيع تلافيها فأولادهن وبناتهن هم أول من يستحقون اهتمامهن ، وهم أول من يؤكد عليهن الإسلام أن يقمن بتربيتهم على الدين والأخلاق الدينية . ومن واجب اخواتنا المتزوجات أيضاً أن يبذلن سعيهن لتوجيه أزواجهن إلى طريق الحق ، ويساعدنهم في سلوكه إن كانوا يسلكونه . وان لكل فتاة ، مع رعاية كل ما للأدب والاحترام من الحدود ، أن تبلغ كلمة الحق حتى إلى أبيها وأمها ، وعلى الأقل انها تستطيع أن تقدم إليهما من الكتب لمطالعة ما يدعو إلى الخير ويحث على العمل .

وآخر ما يجب على المرأة المسلمة في هذا الصدد ، هو أن تبلغ علمها للدين إلى من حولها من النساء في أوقاتها التي تتسع

لها بعد أداء واجباتها في المنزل . عليها أن تعلم البنات الصغار مبادىء الإسلام وتعاليمه الأساسية ، وتلقن الدين الأميات من النساء وتقدم الكتب إلى النساء المثقفات . وعليها أن تعقد الاجتماعات النسوية وتحدث فيها عن الموضوعات الدينية ، أو تقرأ فيها على النساء كتباً دينية ان كانت لا تستطيع القاء الخطبة . وجملة القول ان عليها ان تعمل بأي طريق تستطيع وتبذل جهدها المستطاع لأن يزول الجهل والجاهلية عمن تعرفها من النساء .

وهناك واجب آخر يتحتم على اخواتنا المثقفات بصفة خاصة وله من بعض الوجوه من الأهمية في الظروف الراهنة ما ليس لأي واجب غيره ، هو أن يقمن في وجه ذلك التيار الجارف من الضلال والانحلال الفكري والخلقي الذي تدفع إليه نساء الطبقة المتفرنجة عامة نساء باكستان . ومن المعلوم ان هؤلاء الضالات المضلات يستخدمن لهذا الغرض الفاسد كل ما للحكومة من الوسائل والذرائع ، فعلى اخواتنا المثقفات أن لا يتركن القيام بهذا الواجب إلى الرجال فحسب ، فانهم عندما ينبهون عامة نساء باكستان على خطر هذا التيار ونتائجه الوخيمة ، يصيح المغرضون ويضللون النساء بقولهم لهن : ان هؤلاء الرجال إنما يريدون ان يستعبدوكن ويفرضوا عليكن سيادتهم ولا يرضون أبداً أن تخرجن من جدران بيوتكن ولا تتنسمن الحرية والاستقلال ولا ترين النور بحال . ولهذا كله فاننا في أشد الحاجة إلى مساعدة اخواتنا للقيام في وجه الفتنة . وفي

بلادنا — ولله الحمد — عدد لا يستهان به من نساء متحليات بصفات الصلاح والشرف وتقوى والفضيلة . ومع هذا لسن بأقل من سيدات « جمعية نساء باكستان » (المتفرنجات) علماً وذكاء وثقافة وقوة في اللسان والقلم . فعلى اخوات هؤلاء أن يتقدمن ويقارعن هؤلاء السيدات المتفرنجات ويحطمن فتنتهن الفاتنة . وعليهن أن يصرحن لهن بكل جرأة ان المرأة المسلمة ليست بمستعدة أبداً للخروج من حدود الله . وأنها تنظر بنظر الازدراء والمقت والتقزز إلى كل رقيّ وتنوّر لا تستطيع المرأة أن تناله إلا بعد تعدّي حدود الله . وليس هذا فحسب ، بل على اخواتنا هؤلاء أيضاً أن يتظلمن أنفسهن ، ويحققن ببقائهن داخل حدود الإسلام وباستمساكهن بالفضيلة والحشمة ، كل حاجة حقيقية يُعتبر تحقيقها أمراً مستحيلاً بدون تعدي حدود الله ، حتى يُسكتن كل ضال مضل وكل ضالة مضلة .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

فهرست